fb/mashro3pdf

اللحاق بآخر عربة في القطار

حسام مصطفى إبراهيم

fb/mashro3pdf

اللحاق بآخر عربة في القطار / قصص
حسام مصطفى إبراهيم
الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة ، ١٠ ش عبد الهادي الطحان، المرج
موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣
E – mail : dar_oktob@gawab.com
المدير العام :
يحيى هاشم
تصميم الغلاف :
حاتم عرفة
تدقيق لغوي :
حسام مصطفى إبراهيم
رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٤٤٦٠
I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٠٢٨-٥
جميع الحقوق محفوظة©

fb/mashro3pdf

اللحاق بآخر عربة في القطار

حسام مصطفى إبراهيم

قصص

الطبعة الأولى

٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إهداء..

إلى مصطفى محمد إبراهيم..الرجل الذي دلّني على سحر الكلمة، فأصبحتُ من مجاذيبها، ومنحني السلطة على الحروف، فأصبحتُ من مُريديها، وأوقفني على أول الطريق، فلم أزل من يومها سائرًا.

وإلى أمي التي تُسند قلبي وتمنحني المبرر للاستمرار في الحياة.

وإلى زوجتي .. التي أستمد من حبها لي كل ما أكتب.

وإلى ابني مصطفى .. أجمل ما حدث لي في حياتي.

وإلى صديق العمر محمد هشام عبيه.. الأقرب إلى قلبي من الإلكترون لنواة الذرة التي يدور حولها.

وإلى ابن أختي كريم ..الرجل الصغير المجتهد المثقف الذي رأيت فيه كل ما تمنيت أن أكونه عندما كنت في مثل سنه.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

اهتزازات صغيرة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

"فأنا عندما أُطل على نفسي..في هذه الفترة.. لا أفهم.. لماذا وقعت في نفس أخطاء من كنت شاهدًا على تحليقهم الرومانسي.. وسقوطهم الأكثر رومانسية.. فلماذا إذن ظننت أن في قدرتي التحليق مثلهم تمامًا..ولا أسقط مثلهم تمامًا..ما الذي منعني من الاستفادة من أخطائهم..هؤلاء الرومانسيين الطيبين؟!.وما الذي دفعني لأصبح رومانسيًا طيبًا مثلهم؟!"

ياسر شعبان ــ أبناء الخطأ الرومانسي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

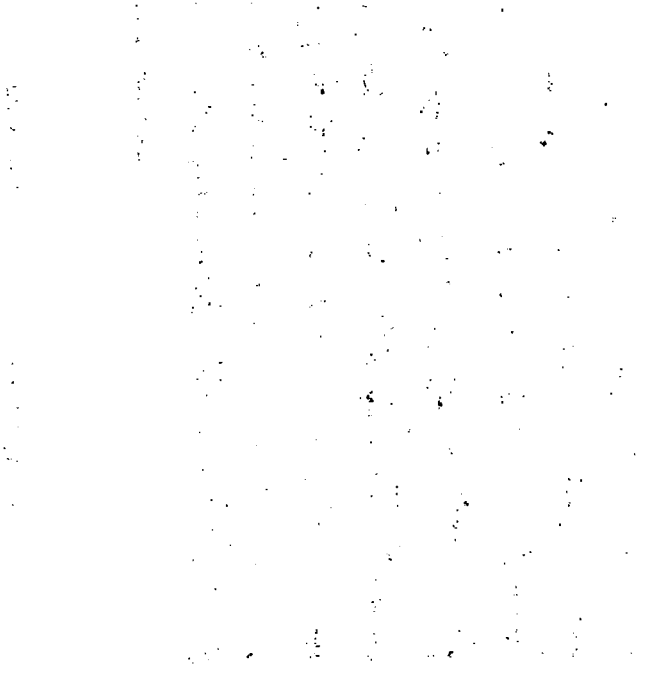

فَـــــرَح

وأنـــت تفتش عن آخر الكتب التي صدرت.. عند صديقك البائع العجوز..الجالس دائمًا وحده على الرصيف..تلمحها.. "فرح".. صديقتك القديمة الطيبة.. بعد فراق غزلته سنون عشر.. تمضي أمامك الآن..في الشارع الطويل المؤدى لمحطة القطار.. وفي يدها..كيس برتقال.. وحذاء أسمر جديد..ينظر إليك في زهو -من خلال كيسه البلاستيكي الشفاف- وطفل صغير.. منكوش الشعر.. تبدو في رجله اليمنى..بعض الجروح.. عينك تغالب دمعة.. ويدك تتحسس المحفظة القديمة... المتخمة بصوركما معًا.. ومع ذلك..تبدو على حافة فرحة... تُخرج ولاعتك.. -التي أهدتها لك ذات يوم-..تدخّن سيجارة وعودها..ولا تتحمل رائحة الدخان الخائن هذه المرة ...تدوس بقدمك عليها.. ثم تركلها.. وتوليها ظهرك..وقبل أن تعاود الاختباء في الكتب.. يصل لمسامعك صوت.. تعرف رائحته جيدًا..يرتّب حروف اسمك..بشكل لا تستطيع نسيانه..لم تسمعه بهذه الطريقة من عشر سنين..ويبدو أنك لم تعش من عشر سنين.. تُقنع كل جسدك بالالتفات.. طفلاً تبدو.. وأنت تفتش بعينيك..عن قطعة "الشوكولاتة".. وعلى جبينك.. بعض العرق.. تلمحها..

fb/mashro3pdf

وتلمح يدها..وهي تقرص أذن الصغير..مكررة اسمك..وهي تنهره على شيء.. لم تعد تذكره الآن.. ثم تغيب معه..بعد أن تصاعد صوت بكائه.. في طريق جانبي ضيق..لم تكن تعرف أنه موجود فعلاً..في هذا المكان..

fb/mashro3pdf

أطراف الأصابع

عـــمّ الطوفان، وهرع الناس يعتلون الأشجار والجبال؛ لتعصمهم من الغرق، وبينما يعلو الماء وتدوّي الصرخات في كل مكان، كنت أشق الماء بذراعي في إصرار، قاصدا منزلها، لا أثر له.. أُجن.. أدور حول نفسي.. وأغطس في مكانه، حتى ألمحها تقاتل أسفل الماء في يأس، لتخليص يدها مما اشتبك بها، أخلّصها وأصعد بها، ونكافح معا للوصول للسفينة.. نصل، وبآخر قوة في ساعدي أزاحم الفارين، وأتشبث بحاجز السفينة المسرعة، تصعد فوقي، ترتمي على الحافة، وعندما أمد لها يدًا لتنتشلني، تنشغل لحظات بتجفيف شعرها من البلل ونفض ثيابها، أصرخ عليها..تنتبه فزعة وتمد يدها، تتماس أطراف أصابعنا للحظة، قبل أن تُفلت يدي الحاجز وتبتعد السفينة، وعيناي معلقتان بنظرات الذهول في عينيها، والماء الذي لا يرحم يواصل الصعود، ويطغى على صرخات الجميع.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أغلـى شـيء

للحظـة واحدة.. واحدة فقط.. بدا له أنه اكتشف سر الوجود.. عندما قالت له.. "أحبك.."..ثم أطرقتْ..

الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والبشر والعلاقات والموت والحياة واللذة والألم والفناء والولادة والإثم والطهارة والخير والشر..والحكمة السرمد غير ذات الانتهاء..والحب الذي لا أول له ولا آخر... ولا شط ولا قرار..

تلظّى سنوات بالكتمان..أرّقه المجهول.. ولفحه التنائي..استطال الزمن واتحدت الأيام في مؤامرة ضد قلبه.. وكان يريد أن يفك أسر لسانه.. وكان يريد أن يحل قيد مشاعره..ويصرخ.. وبدا له البوح وقتها.. أغلى شيء!

واليوم..كان يريد أن يضمها لصدره.. يضمها بقوة.. حتى تتكسر..ويتكسر..وتندمج الشظايا.. وكان يريـد أن يـزرع شفتيها بلهيب شفتيه..وشَهْد عشقه..وسلافة انتظاره....وبدا له ذلك لحظتها.. أغلى شيء..!

بيد أنها لم تلبث أن رفعت رأسها.. ورمـت إليـه بنظـرة ماكرة.. وعادت تكمل..ما قطعت من كلامها.. وهي توليـه

fb/mashro3pdf

ظهرها.. وترحل: "أحبك.. أن تكف عن مطاردتي.. فأنـــا لا أحبك.."فاحتجب عن عينيه ما كان قد اكتشف للتو.. كـــف القلب عن ضخ الدم في العروق..حملـــت الـــدقات عـــصاها ورحلت.. وغُمس في الظلمة..أطـــرق.. وفي نفـــسه.. تمـــنى الموت.. وبدا له الموت ساعتها..أغلى شيء..!

fb/mashro3pdf

فيـــــروز

في صخب التحيات.. كانت يدي تفتش عن يدها..وعيني تعبر الوجوه..لتلوذ بوجهها.. يزدحم الرفاق في نشوة الخلاص وألمه..خلف الابتسامات..تختبئ حبات الدمع..وخلف الأمنيات بالخير.. يختبأ خوف مضن من غد..تلتقي الأيدي في لهفة.. وكأنما لن تفترق.. وتفترق في تخاذل.. كأنما لم تلتق..ويختلط الكلام.. يعلو وينخفض يندمج.. في كلمة واحدة.. ضخمة.. مبهمة.. لا تفهم لها معنى.. ولكن تحس لها دويًّا آسرًا.. أرقام تليفونات وعناوين ووعود..لن تتحقق أبدًا!

تسرح عيناي..ترمق الدنيا التي ولّت..تمسح بحنان على المباني.. البشر..العلاقات.. وترتد موسومة بالحيرة والعجز.. ألف ذكرى..وألف ألم..تأخذني موجة الصحاب لبعيد، مرات..ومرات..على وعد قريب بالعَود..أدنو..وأتباعد..أصل..وأضل..أرمق وجهها الحلو..من فوق سوار الأكتاف والرءوس والأصوات..وأنتظر بوجد..موعدي معها.

تتداح الأمواج..تتداح الوجوه.. تتقارب اللقيا.. ذات لحظة..وأجدني أمام النور الصادر من عينيها فجأة.. أمد يدي

fb/mashro3pdf

لأقصى امتداد.. "يتنطط" قلبي بين ضلوعي.. كأنه يـــركض.. أغرق في الحضور الآسر المتمكن..في الرحابة والامتلاء..في وعد النشوة والبهجة.. "يا فيروز...يا فيروز".. تقترب اليـــد مـــن اليد.. تحتضن النظرة النظرةَ.. يهتز الفم..يمور القلب..والـــدنيا تدنو من قبض الأصابع..أكاد أدخل الحضرة..وأطالع الـــسر.. "يا فيروز.. يا فيرو.."

لكن يدها تنحرف فجأة.. لتوضع على كتفـــي.. تنغـــرس الأصابع في قوة.. فأتأوه..تتموج الملامح.. وتتبدل.. فأنتفض.. يخرج الصوت خشنًا.. "ممنوع يا أســـتاذ"..أفيـــق لنفـــسي.. وأحدق في صاحبه ذي السترة الرسمية.. يقف أمامي.. بجـــسده الضخم.. ويضع يده على كتفي.. ينظر نظرته الخبيثة -الـــتي أعرفها جيدًا-.."الطلاب بس".. فأحدق في عينيه.. في الأسوار العالية.. في المباني الأثيرة.. والجموع التي تغدو وتروح.. أطرق لحظة.. أضع يدي في جيبي..أخرج النقود..أوليـــه ظهـــري.. أحتضن الجريدة..ودوسيه الأوراق.. وكيس الطلبات..لألحـــق آخر أتوبيس لمترلي.. وصوت الضحكات المختلطة.. يتناهى إلى مسامعي..من خلف الأسوار..

fb/mashro3pdf

المـــــقام

تفاجئني أمام مترلي..فتبتسم..وهـــي تـــزيح الـــستر عـــن وجهها...فيغرقني النور.. يطـــيش برأســـي الـــدم..ويـــتراح سُكري..تشير بيدها للبعيد..وتهمس.."اتبعني للمقام"..يخايـــل عينيّ ضياء مبهر..يبدو على المدى..تفعم أنفي رائحةٌ عبقرية.. أحس نفسي خفيفًا.. فأتبعها في تولّه.. وقلـــبي ثمـــلٌ..متـــرعٌ بالوجد.

ينتزعني صوت التليفون في مترلي.. فأفيق.. أُعرض عنـــها.. وأسرع لأرد عليه.. أرفع السماعة.. أجد الخط قد قُطع... و لم يبق إلا صوت أزيز غامض متقطع.. أرمي السماعة في حدّة.. أهرول إلى الشارع..لا أجدها.. أبحث عنها في كل مكان.. لا أثر.. أنادي عليها بأعلى صوت..فلا أتلقى إجابة.. أسأل عنها الناس..لا يتعرّف عليها أحد.. أرفع بصري للمدى في لهفة... فلا أعود أُبصر أي ضوء على الإطلاق!

أكاد أجن...ولكني لا أيأس... أتسمّر أمام مترلي.. مشرعًا البصر.. أستوقف كل الآتين إلى المدينة.. وأسألهم..أرفع صوتي دائمًا.. وأعاود النداء..أضحك أحيانًا..عندما أتخيلها آتية..وقد صفحت.. وبان البِشر على وجهها.. وأبكي أحياناُ أخـــرى..

fb/mashro3pdf

علها تحنّ.. علّها تعطف.. و لم أعد أستطيع الدخول لبيتي..ولا رفع بصري عن البعيد.. وأعلم أنها سوف تأتي يومًا.. تغسلني بالنور والفرحة.. وتشير للبعيد... وتضحك.. وتقودني للمقام.

fb/mashro3pdf

الـــذي فـي القلـب

صـــوت الأقدام يرنّ في فضاءٍ صاحٍ.. أقترب منك أكثر.. أتجاوزهم..

ورغم كل ذلك..أحببتك.. صدقيني.. كانت الـــذكريات والأيام وأنصاف الحكايات..كانت المرارات.. وكانت قصائد الشعر.. كانت الأحزان.. وكانت الدنيا.. وكانت... ولكنك وحدك التي فعلتِها.. وأنا أعيد النظر إليك الآن.. أتأكد حقًـــا أنك وحدك التي فعلتِها.. هذه اللحظة.. كل الخرافات تتقـــشر عن جدران الروح.. كل التعاويذ تنحلُّ.. وأستطيع البـــوح.. أراكِ.. وأراني.. وأرى العالم وأشعر به -لأول مرة- يـــدق في قلبي..أحبك.. مثلما أنتِ..الآن أعترف وأقر.. أحبك.. مثلما أنتِ.. لم أتأخر.. أيام الرحيل بين قلبي وقلبك.. انطفـــأتْ.. أينعت اللقيا وأورق التداني..

وأنا أعيد النظر إليك الآن.. العينان العـــسليتان.. الـــشعر المنسدل.. والجسد المستريح.. أحبك مثلما أنـــتِ..ولـــيس فيّ إلاكِ.. أشياء كبيرة جدًا.. وأشياء صغيرة جدًا..بيننا.. خاصـــة وعميقة.. رحبة وحانية.. تدمج ذراتنا في الآن والبُعد..

fb/mashro3pdf

الجمع يزداد.. ما همني؟ ضوضاؤهم؟ سيزولون قريبًا.. وتبقين وأبقى..

أحبك مثلما أنتِ..السيارات مفتوحة العيون في إشفاق.. الأصوات الداوية التي تثير الأعصاب.. أقترب منك أكثر.. أدخل في هالتك.. أمد يدي الضائعة.. تتماس أطراف أصابعنا في صمت.. أنتعش.. أنا أقوى رجل في العالم.. وأنت أجمل فتاة في الدنيا.. أنا أعظم رجل في التاريخ.. وأنت أميرة الأميرات.. أحبك حقًا.. تتشبث يدي بيدك أكثر.. حقًا أحبك..معك أشعر أني على قمة هذا العالم.. لا أخاف ولا أجامل.. لي جيش ولك بصيرة ولنا معًا عناقيد الأحلام.. لي فرح ولك انتشاء ولنا معا قوس قزح وشعاع شمس وموجة بحر وتغريدة عندليب..أحبك حقًا.. وأريد أن تشاركيني ولاداتي المتعثرة..أريح رأسك على صدري..أدخل فيك وتدخلين فيّ..أريد أن تفتشي عني فيّ..أريد أن أتسلق جبال طهارتك.. وصدقيني... -مثلما تعوّدت أن تصدقيني- لا يمنع أبدًا أنك مسجاة على الطريق..شاحبة قليلاً ورائعة جدًا.. نابتة في طوفان الدم والبشر.. ترمقين العالم في دهش.. شششش.. لا تجيبي الآن أرجوكِ.. فأنا كما تعلمين أحبك مثلما أنتِ..

fb/mashro3pdf

الأمير يعثر على سندريلا

بالأمس حلمت بك، ورأيتني أجوب شوارع المدينة ليل نهار، حولي من الحرس الكثير، ولكن ما أفقرني إليك، وما أشد وحشتي من دون عينيك الفيروزيتين، أحمل فردة "حذائك" الماسي الصغير، أدق كل الأبواب، وأنتظر في صبر وأمل، أن أجدك، وأن أعيد إليك حذاءك، ثم آخذك كلك إليّ، فأنتِ لم تشاهدي بعد باقي قصري، ولا باقي قلبي، ولم تتذوقي طعم أيامي من دونك.

ألمحك، تنظّفين الفِناء أمام مترل زوجة أبيك، فأحس بك، وحتى من دون أن ترتدي الحذاء، كنت أدرك تمامًا أنه أنتِ، تلك التي حملْتها بين ذراعي أمس، نرقص ونرقص ونرقص، وحملنا النغمُ، حتى حولنا عطرًا وسحابًا، فأقتربُ، وتمدّين إليّ ابتسامتك، ويديك، وتشرقين في روحي كالبشارة، فأدرك — فورًا- سر تحول الرصاص إلى ذهب، والبذرة الصلبة إلى شجرة وارفة، وظلمة الليل إلى فجر فَتِي!

أخف إليك وتخفّين إليّ، وعندما أهم بلمس أطراف أصابعك، أجد الحراس -حرّاسي!- يحولون بيننا فجأة، ويرفعون أسلحتهم في وجهي، وقبل أن أجد الفرصة لأصرخ،

fb/mashro3pdf

أو أندهش، يطوقني الرصاص من كل جانب، ويُلجئني للحائط، فألتصق به في رعب، وأنظر نحوك، وأنت تتقدمين عبر الرصاص، والموت، فأفرح.. وأخاف عليك أكثر..أرفع يدي في وجهك.. حتى لا تتقدمين أكثر.. وتموتين.. ولكنك فجأة..تختطفين سلاحًا من أحد الحراس وتصوبين نحوي أنت الأخرى..وتطلقين!

fb/mashro3pdf

الجَنـــّة

أخرجتُ كل النقود التي في جيبي..أشعلت فيها النيران..فتبددت الظلمة من حولي.. وانعكس اللهب على سطح الماء.. في تشكيلات مبهمة كونية.. ثمة صورة لوجه قديم.. استترف دماء القلب وماء العيون.. أخرجتها..ومسحت عليها بنظري..في ثبات..ثم ألقيتها في النيران.. لكن النيران استمرت في الانطفاء...ألقمتها آخر صفحة تبقت معي..من الجريدة اليومية..الملطخة بالعناوين الكبيرة...فتأججت لحظات..ثم هزل عودها.. لم يتبق معي..غير بطاقتي الشخصية.. لم أتردد طويلاً وألقيتها..لأنعم بآخر لحظات الدفء..شعرت فجأة برغبة حارقة في الضحك..فلم أتمالك نفسي..وأطلقت ضحكة عالية جدًا..أفزعتني..فبترها.. قبل أن يعلو الموج ويصطخب.. وتبدأ المركب الهزيلة في التأرجح المسعور..والانصياع لسوط الريح الذي يجلدها.. تيبست أعضائي..وانتشر الملح في فمي..غير أن الضحكة..عاودتني ثانية.. فأطلقتها..لكنها ضاعت..وسط الهدير العاتي هذه المرة..وببقايا النور في عيوني..كنت أرمق في إصرار..ذلك الضوء الفيّ..الذي يبدو من بعيد..كما لو كان يسعى نحوي..في بطء..وأناة..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الرَّفـــــع

كنت أقــول وأكرّر لكل الذين يلتفون حول الصليب..صاخبين..رافعي الأبصار..(إنه ليس بعيسى).. فيسود الصمت لحيظات.. ثم يعودون لهرجهم..وهم يرمقونني شذرًا.. أكرر بعزم..(إنه ليس بعيسى).. يراودهم الشك فجأة..ينظرون ناحيتي وناحيته.. يتهامسون.. يجيء أحدهم.. وينتحي بي جانبًا.. يبتسم ابتسامة صفراء..ويهمس..(أنت أملنا.. لابد أن نتأكد)..يجيئون بصليب آخر.. يثبتونني بالمسامير.. ويرفعونني عليه.. كنت الآن أجاوره.. أغالب ألمي وفزعي.. أُنعم النظر.. ملهوفًا..أصرخ بأعلى صوت..(ليس بعيسي.. ليس بعيسي)..لكن الريح كانت تصادر صوتي.. فيضيع.. ولا يصل إليهم أبدًا..أُجن..أحرّك رأسي بعنف.. أنادي عليهم.. ولا مجيب.. ومن أسفل.. كان الملتفون يتزايدون.. يرفعون إلينا الأبصار.. يشيرون بأيديهم.. ويصخبون..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الرمـــاد

أسمع صوت طقطقة الخشب المريعة.. وأشم رائحة الدخان العارم المقيت..وألمح الناس يتدافعون في قوة.. فأرتجف.. أبتلع ريقي في صعوبة..أقدّم رجلاً وأُؤخر أخرى.. ثم أذهب إلى حيثُ يحتشدون.. أزيح كل الذين أمامي في رهبة.. مذهولاً..أرمي ببصري وسط اللهيب.. محاولاً الوصول لشيء من رؤية.. ألمح "إبراهيم"..مبتسمًا وشامخًا.. يرمق كل هذا بتسامح لا حد له.. ويهمس بكلمات لا يسمعها أحد..

يا "إبراهيم".. يا "إبراهيم"..والنار التي لا ترحم..تزداد تأججًا.. تغلي وتفور.. تبتلع كل شيء.. وتقترب حثيثًا من "إبراهيم"..أضع يدي على قلبي لأخفي شدة خفقانه.. أداري عينيّ في يأس.. وأبتعد للوراء.. هاربًا من شدة الحرارة.. ولكني..أرى عجبًا.. المارد الأزرق الرهيب..يتأجج وينطفئ.. يلف ويدور حول "إبراهيم"..في تتابعات دوامية عنيفة.. متلألئًا بآلاف الألوان.. هاذيًا بأصوات عالية مرعبة.. وكأنه يتشمم "إبراهيم" في تؤدة..وكأنه يتعرّف عليه..يصعد ويهبط..يدنو ويبتعد..ثم يمضي فجأة متخبطًا..لا يلوي على شيء..النار..النار..ولكنه لا يلبث أن يعاود الارتفاع.. على حين غرة..يبدو مندفعًا..وهو يخترق جموع الناس التي لم تفق

fb/mashro3pdf

بعد من ذهولها.. فيصرخون في هلع..يتدافعون..يتخبطون.. وهم يحاولون الابتعاد عن طريقه..بيد أني لا أنجح في أن أفعلها وأهرب.. أجده أمامي فجأة.. ثم حولي.. ثم فيّ..

كان "إبراهيم" ما يزال يبتسم.. ويهمهم بترتيلاته الربانية الداوية.. وأنا أصرخ في ألم.. في رعب.. في جنون.. والدخان الأسود الكثيف.. يختلط برائحة الشواء النفاذة.. وهمهمات الناس التي بدت وكأنها آتية من عالم خيالي سحيق.. ورفرفة أجنحة الطيور التي فرت فزعة لبعيد...

fb/mashro3pdf

الأحوال والمواقف

— ١ —

كان الطُعمُ..وكانت الصنارة.. وكان القارب..وكنتُ..وإذ عزمتُ.. لم أجد أمامي.. ماء البحر..

— ٢ —

قال..(اخرج منك.. ترني)..فلما خرجت..بهرني الضوء..وأغشى العيون.. فأفلتت الرؤية.. وإذ أزف الوقت..فعاد..حاولت العودة.. فضللت الطريق إليّ...

— ٣ —

أنظر في المرآة..أرى صورتها.. أفرك عينيّ.. أنظر.. أرى.. أكسر المرآة..تنهض..من بين الزجاج المتكسر..تعدل ثيابها..ترصدني..أحدّق.. تقفز داخل عيوني..أصرخ..تُطبق وراءها الجفون..

— ٤ —

إصبع الطباشير..أمسَكَهُ..على الحائط رسم الحصان وقال..(اركب)..على المكتب وضع المفتاح..وأشار نحو الباب

fb/mashro3pdf

المغلق..وأطلق ضحكة..أمد يدي في الهواء..أُخـــرج شيئًا من علف.. يراه الحصـــان.. يتململ في مكانه.. يأتيني مهرولاً.. أمتطيه.. أخطف المفتاح.. أكسر البـــاب.. يجيء العساكر بجردل الماء.. يلقونه على الحصان.. يصـــهل..يرتعش.. يتناثر الجير الأبيض.. أجـــد الأرض المبللة تستقبلني..والأحذية.. وكعوب البنادق والصهيل القديم..

- ٥ -

كـــان الطُعم.. وكانـــت الصنارة..وكـــان القارب.. وكـــانت مياه البحر الصخّاب.. ولم أكـــن..

fb/mashro3pdf

الحلـــم

— ١ —

حلمـــت بالأمس.. أنني قطـــرة مطر.. بعثها الله إلى أرضـــك.. لتُزهر وتخضرّ..خشيت أن أقـــص عليـــك حلمي.. فتدّعين العطش.. وتشربينني..مرة واحدة..

— ٢ —

حلمت بالأمس..أنني حمامة..تحطُّ على سور نافذتك لتستريح..خشيت أن أقص عليك حـــلمي..فتدّعين الجوع وتأكلينني.. بلا إبطاء..

— ٣ —

حلمت بالأمس..أنني ثعلب وحيد..دائخ في غابات حبك..غلبان بأنوثتك..خشيت أن أقص عليك حلمي.. فتذبحينني..وتفصّلين من جلدي..معطفًا للشتاء..

fb/mashro3pdf

— ٤ —

حلمت بالأمس..أنني نجم شـــارد في الكون الوسيع..يبحث عن مدارك..خشيـــت أن أقص عليك حلمي..فتُغلقين مداراتك في وجهي..وتدّعين..أن عنـــدك من النجـــوم ما يكفي.. في أقراطك.. وحُليّك الذهبية..

— ٥ —

عنـــدما رأيتك اليوم.. تتأبطين ذراعـــه.. وتضحكـــين.. لم أعد أحلم.. لأنني.. لم أعد أنام..

fb/mashro3pdf

الخـــروج

ـ ١ ـ

قـــال النكتة..فضحكوا جميعًا..حتى استلقى بعضهم على قفاه..وبكيتُ..

في المساء..صدمته سيارة الشرطة التي جاءت لتوها من التصليح...فبكوا جميعًا..حتى تكرمشت وجوههم..وضحكتُ..

ـ ٢ ـ

كنت أعكف على المرأة التي بين يديّ.. بضمير حي..تتبدل كل يوم.. ولا أتبدل..وإذ أزف وقت الصلاة..كنت الإمام...

ـ ٣ ـ

قالوا..(لا تظهر إلا ليقظ).. فأجافي النوم أسبوعًا..

fb/mashro3pdf

قالوا..(لا يراها الخاطئون).. فأغتسل بالماء والمسك والكافور.. أصلّي ...حتى تتقرح ركبتاي..أعفّر وجهي بالتراب ندمًا.. حتى يتحول التراب تبرًا..وأقسم..لا أعود خطّاء..

قالوا..(لا تظهر إلا في تمام البدر)..فأراقبه..وفي تمام البدر..تظهر..ببطء..من الموج تصعد..تنشر شعرها الممتد..فتتساقط فضة الماء المستحمة بنور القمر..رويدًا..أتقدم.. فتلتمع عيناها..

قالوا..(لا ينالها إلا جسور).. قبل تمام صعودها..أقفز في الماء..أُطبق على يدها..أدني شفتيّ من شفتيها..أهمّ بها وتهمّ بي..لكنها فجأة.. تطلق شهقة..وتنظر لي نظرة ثابتة..لا تتغير.. يصفرّ الوجه..تغيض العينان.. ويندفق الدم..يغرقني..ويلوّن ماء البحر..قالوا..ولكني لم أسمع قط..

— ٤ —

قال..(إن تقدمتُ احترقتُ..وإن تقدمتَ احترقتَ) .. فلما تقدمتُ..شُلت الأقدام..وانبترت الأيدي..وصُمّت الآذان..وعميَت العيون.. وتصاعد الدخان الأسود كثيفًا.. واحترقتُ..

fb/mashro3pdf

انتظـــار

سلّمت عليها لآخر مرة..فاحترقت جميع أصابعي..تركتُ لديها لفافة صغيرة جدًا..فيها قلب.. وبعض الدموع والذكريات.. ومستقبل غامض.. قد يأتي.. وقد لا يأتي..لم يكن لديّ وقت فراغ لأنتحر.. فعدت من طريق جانبي نصف مظلم..فوجئت بـــ "سيزيف" أمامي.. يواصل عمله الأبدي الممل.. يرفع الصخرة لأعلى جبل.. -أراه الآن لأول مرة- ..فتسقط مسرعة للسفح.. فيرفعها من جديد..مرة..ومرات.. بان البِشر على وجهه عندما لمحني..ناداني..ترددت لحظة.. وأنا أنظر لساعتي..فقد تأخرت عن موعد الفيلم العربي..ثم اتجهت إليه..وجدت العرق يغمره.. حلقه جاف..ويلهث..طلبًا للهواء.. همس في أذني.."احمل عني الصخرة قليلاً أرجوك.. سأروي ظمأى بزجاجة مثلجة..من محل قريب وأعود"..الحق أن منظره أثار شفقتي..فقبلت.. أعطاني الصخرة بفرح..كانت ضخمة وثقيلة..تمطّى في قوة..نفض غبارًا وهميًا من على ثيابه.. قلت بأريحية.."هل تحتاج نقودًا؟"..فنظر نحوي بعتاب.. ثم لوّح بكفه..ومضى..

fb/mashro3pdf

كنت أواصل عمله بأمانة وشرف.. وكلما تغشّاني التعب.. أو ثقل الحمل عليّ.. أعزّي نفسي..وأهمس.."ربما مازال ينتظر زجاجة "الكوكاكولا" حتى تتثلج"!

fb/mashro3pdf

الطـــيور

ثانيـــة..يشدني الصوت العارم من نومي..كأنمـــا بـــألف ذراع..فأنتفض.. وأفتح عينيّ على اتساعهما..لأطـــالع نفـــس المشهد.. الطيور السوداء الثائرة..كبيرة الحجم..تحتـــل سمـــاء الغرفة..تلف وتدور.. تنقض علـــيَّ في تـــشكيلات حربيـــة معقدة..ضربات بالأجنحة..خمشات بالمخالب..ومناقيرهـــا..لا تكف عن محاولات فقأ عيني.. أصرخ..بألف حنجرة وألـــف صوت..أحرّك ذراعيّ أمـــام وجهـــي في هـــستيريا..مقلـــدًا المروحة..أترنح..أســـقط علـــى الأرض..أقـــف.. أحـــاول ثانية..أسقط.. أقف.. أهرول نحو المكتب القديم..أرفع "الفازة" الوحيدة..وألقيها نحوهم بأقصى ما أملك من قوة..فلا تـــصيب شيئاً..أسرع نحو "الكاسيت"..وأحطمـــه.. بـــنفس الطريقـــة أيضًا.. وعيناي المحتقنتان ترمقان في ذهـــول.. النوافـــذ الـــتي أوصدتها بنفسي أمس..ودعّمتها بالحديد والأسمنت..والبـــاب الموصد هو الآخر بالمزاليج.. أجن..أعاود الصراخ..والأنـــين.. ومحاورة الطيور.. والألم يغرس إبره الساخنة في كل خلية مـــن

fb/mashro3pdf

خلاياي..يزداد الصخب..تشتد الضربات.. ويـتلطخ كـل وجهي بالدم.. أصرخ "ماذا تريدون مني؟..ماذا تريـدون؟".. تنهار مقاوميّ فجأة..أهـاوى باكيًـا.. وجـسدي يتخلـى عني..ألمح النوافذ تتفتح على مصاريعها..تتدفق منها الشمس.. الطيور تتوقف.. تلف وتدور في سماء الحجرة..ترمقني للمـرة الأخيرة..ثم تندفع عبر النور.. لتذوب فيه..ألهث للحظة..غـير مصدق.. أزحف.. وسط الدم والأنين.. حتى النافذة.. أتسنّد على بقايا الأثاث.. أرفع جِزعـي..أتـأوه.. أتعلّـق بحافـة النافذة..أرمق الطيور تبتعد.. وتبتعـد.. وأنـا أعلـم.. أنهـا حتماً..ستعود..

fb/mashro3pdf

العابـــرون

ـ ١ ـ

رآهـــم مـــن الشُرفة..يعبرون أمام عينـــيه فجأة.. كـــل الأصـــدقاء الذين قابلهـــم في عمره.. نادى عليهم.. فـــأقبلوا هاشين..أخـــذهم بالأحضان..مـــسح دموعـــه ودمـــوعهم.. أجلسهم حوله..وجعلوا يستعـــــيدون الذي كان.. ســـألهم عن أحوالهم.. وشكا لهم حاله..وجد روحـــه تخـــف..وقلبـــه يكبر.. حتى يمتلئ بالصفح.. تصالح مع مـــن تـــشاجر معـــه قديمًا..على حب فتاة..قبّل رأس من أهانها.. عنـــدما رفـــضت خطبته.. واعتذر لمن أوقـــع بينه وبين صديقه ذات يوم.. سرح به الخيـــــال لسذاجة مـــا مضى..تذكّر كلمـــات بسيطة.. لا قيمة لها في ذاتها.. "بحبك".. "ساكت ليه؟".. "بتفكر في إيه وأنا معاك؟".. "هتنـــساني صـــحيح؟"..ولكـــن لـــسحرها الغريـــــب المـــــراوغ..جُنّ أُناس.. وأُتـــــرع آخـــرون.. بسعادة لا تُوصف.. تهادت الذكريات..وصفا الحنين..انزاحت الأحمال..وذابت لذعات الحزن..تشابكت أيديهم.. وتعالـــت

fb/mashro3pdf

ضحكاتهم الرائقة ترج البيت..وتزرعهم في رحم فرحة..حتى تجّع الأطفال من الحجرات.. ينظرون إليهم..في دهش..ويتغامزون..

— ٢ —

تحلّق الأطفال حول جدّهم يتهامسون:

- "يا عيال.. جدّو قاعد قدّم المراية... يضحك... ويكلّم نفسه.."

- " زي كل يوم "

- "هو جدو اتجنن ولا إيه؟ "

وعلى الصخب..جاءت الأم..وفاجأتهم.. في تلصصهم المعتاد..فأعملت فيهم يدها ولسانها..فتفرّقوا ضاحكين..وهم يتحيّنون الفرصة...ليعاودوا التلصص.. من جديد..

fb/mashro3pdf

القـــرين

جلس الشيطان في قعر كأس الويـــسكي.. يغـــازلني كـــي أشرب.. أقول له في سخرية.."ما جئت هنا لأصلّي!"..وعندما يُطرق برأسه..ويبقى صامتًا بلا حراك.. أُغافلـــه.. وأجـــرع الكأس مرة واحدة..يحتقن وجهي..وتحمرّ عيناي ويخيّـــل إليّ.. أني أسمع صدى بعيدًا.. لصرخة ما.. تتكرر..أقول للجرســـون الذي يمضي على مقربه.."هل تسمع شـــيئًا؟".. ينظـــر إليّ في بلاهة.. يهرش رأسه.. ويهمس.."هل تريد كأسًا أخـــري يـــا سيّدي؟"..أُشير بطرف عـــيني..إلى الأنثـــى المتناومـــة علـــى البار..وسط صخب الأنوار المتأججة.. أقـــول لـــه بـــضحكة معربدة..."نعم..ولكن من هذه الخمر"..تبدو على ملامحـــه.. أول علامات الإفاقة... يتقدّم نحوها..فيما أمد يدي في حذر.. أتلمّس منابت الشَعر في رأسي.. وعيناي..تزدادان احمرارًا..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

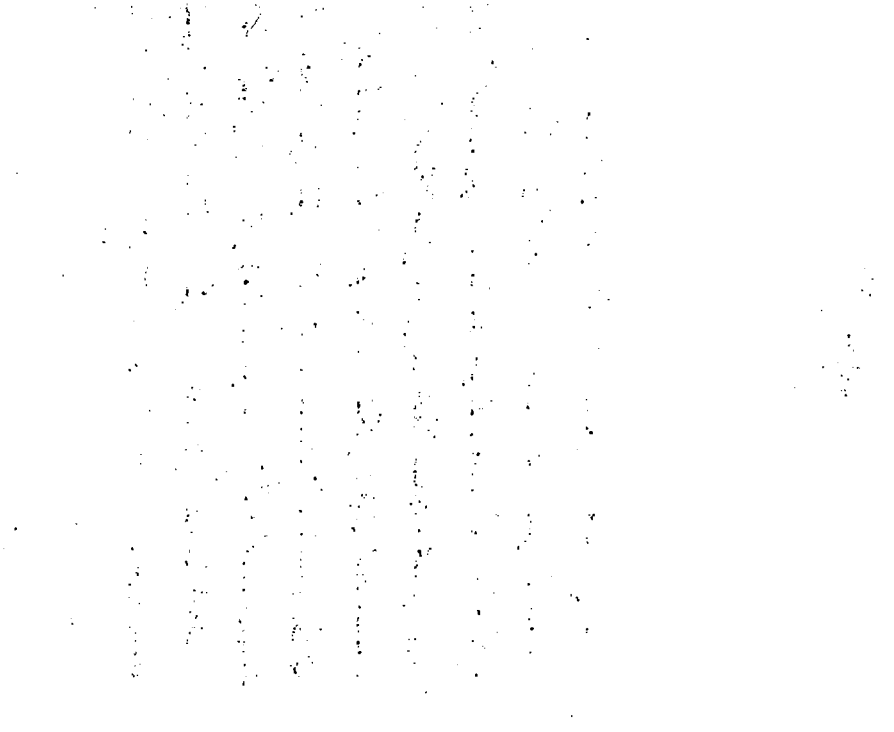

الملاك الأبيض

كنت أصل آخر خيط في سجّادة الليل.. بأول خيط في سجادة النهار..أرسم ملاكًا أبيض.. وأحدّثه.."أنت صديقي".. وعندما مر الرجال كعادتهم كل صباح.. بهرتهم لوحتي.. وأصر أحدهم أن يشتريها بشيك على بياض..أشعر بالفرحة، وهو يدخل يده المكستزة.. في جيب سترته الغالية..ويُخرج دفتره السحري..ويحرر الشيك فورًا..أمد يدي لألتقطه..ينظر إليّ الملاك الأبيض..نظرة عتاب صامتة..تتحدّر على وجنتيه..لآلئ الدمع..أرتجف..أتردد..يلح الرجل أن أنزل له عن اللوحة.. يشاركه رفاقه.. عندما يلتفون حولي.. في شكل نصف دائرة.. تضيق باستمرار..أختنق.. تأتي طيور من بعيد..وتحوم حول الصورة..الملاك..يُلقي علينا آخر النظرات..يفرد جناحيه فجأة..ويرحل مع سرب الطيور..مُخلّفًا وراءه اللوحة..وقد أصبحت ناصعة البياض..وعلى أصابعي..دمعة من دموعه..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بياض الـــورد

كـــــل الذين التفوا حول جثتي..كانوا يبكون.. ويرددون النظر في إشفاق.. بين ملامحي الغاربة في الدم المتخثر.. المعجونة بالتراب..وجسدي النحيل الهامد.. المغطـــى بـــورق الجرائـــد الصباحية والندى.. والرجل الضخم الذي أمسكوه.. بعـــد أن صدمني بسيارته "الكرولا" الفاخرة..وحاول الهـــرب.. عـــدا حبيبتي..التي وقفت.. غير بعيد عن جثتي..في ثوبهـــا الـــوردي الفاتح..مكشوف الذراعين -الذي كنت أعشقه-..تبتـــسم في صفاء..وتهمس.. "ولكنه الآن يكتمل"..ثم ترفع عينيها للبعيد.. وتمد يدها في انتشاء.. تقطف وردة بيضاء.. من التي راحـــت تنمو في دمي بغزارة..وتزحف لتغطي أرض الطريق.. وترشقها في شعرها الطويل المستحيل..بترتيب بديع..كـــان ســـيعجبني حتمًا.. حتى أصبح سواد شعرها كلـــه.. مختبئًـــا.. في بيـــاض الورد..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

فـــــوز

صباح مساء.. أتضرّع إلى المنّان..أن يجعلني عصفورًا يحـــطُّ على سور نافذتك.. فأنعم بما حرمني منه البُعـــد..وأطـــالع في عينيـــك... النـــور والنـــار..وجعلـــني...فحططـــتُ... وعاينت..فانتشيت.. وامتدت يدك.. تقبض على جنـــاحي في قوة.. فأستكين.. تتحسس رقبتي.. فأنعم.. تذبحني.. فـــأُغرّد.. وقلبي مترع مُمل..بالحنين..والغناء..والفرح..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مصادفة

لـــم أزل أُفـــتش عنّـــي.. وأســـألني في إلحـــاح.. أيـــن أَجِدُنِي؟.حتى لَقيتُني مصادفة.. واقفًا قرب مترلي.. مختبئًا مني.. زاهدًا في الحديث معي.. رافضًا حـــتى النظـــر إليّ.. وعنـــدما حاولت تليين رأسي..أو إقناعي بالاستماع إليّ -ولو لدقائق- وفشلتُ.. احتددتُ عليَّ.. وتركتُني منفعلاً..ساخطًا عليّ وأنا أنوي.. ألا أفعلها ثانية.. أبدًا...

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

صباح عادى جدًا

وافـــق والد حبيبتي على خطبتنا..هذا الصباح..وجاء قرار تعييني مدرسًا..هذا الصباح..وابتسم جاري في وجهي.. ومـــد يده يصافحني..هذا الصباح..ووجدت أتوبيسًا خاليًا.. ومحصلاً رائق البال..هذا الصباح..ووعدني صاحبي.. وأوفى بوعـــده.. هذا الصباح..وقامت القيامة –أيضًا– هذا الصباح.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

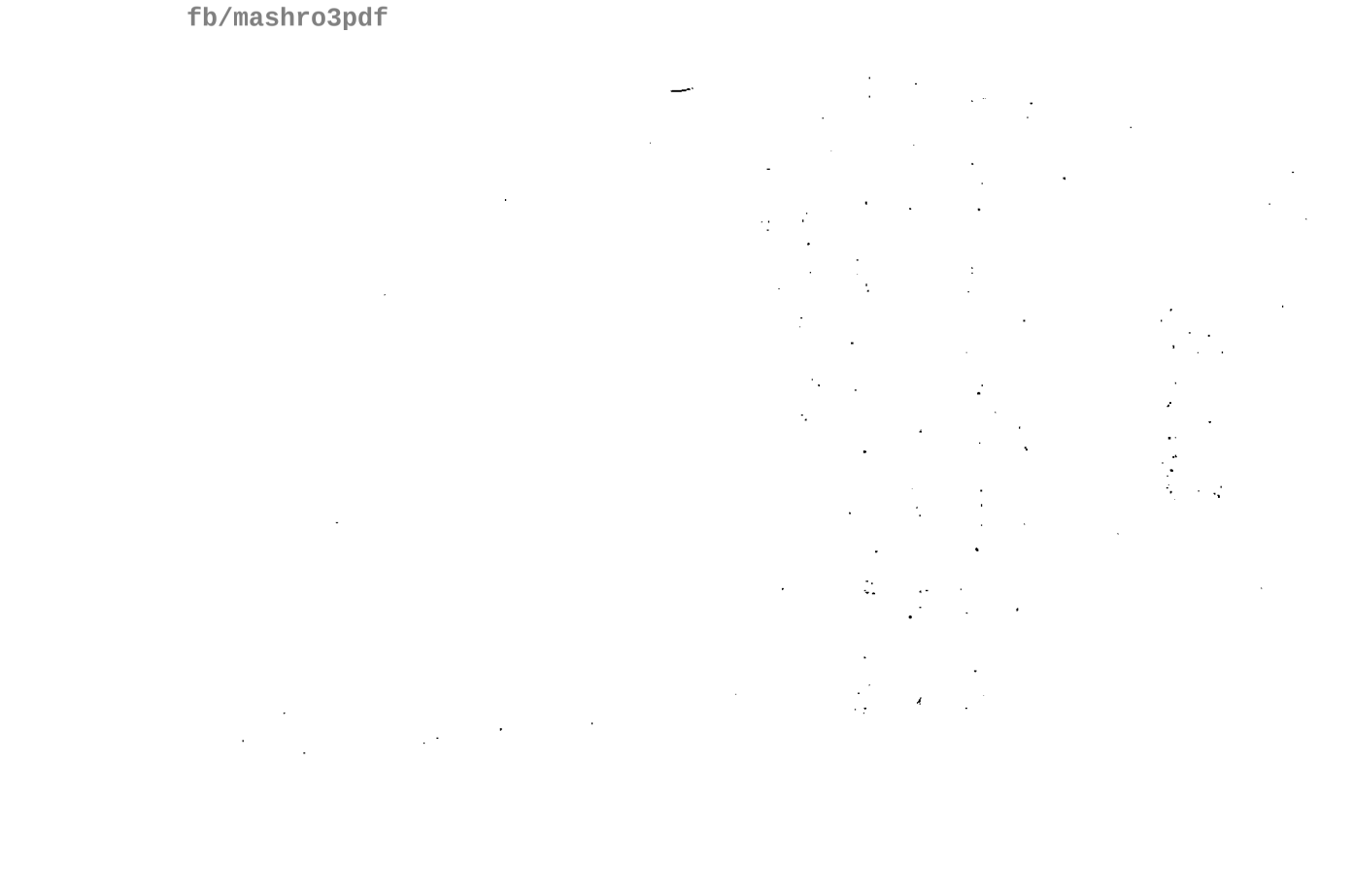

البطل

تحدّتني التي كانت حبيبتي.. وتحدّاني الذي كان صـــاحبي.. وتحدّتني التي كانت عائلتي.. عنـــدما رأوني أبتـــسم.. قـــالوا لي.."لن تستطيع أن تدوس على كل الأحـــزان"..فـــضحكت ساخرًا من جهلهم.. أتيت بورقة بيضاء.. كتبت عليها.."كـــل الأحزان"..وألقيتها على الأرض..ثم دُست عليها.. بكل قوة.. وأنا أنظر إليهم..هازئًا..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

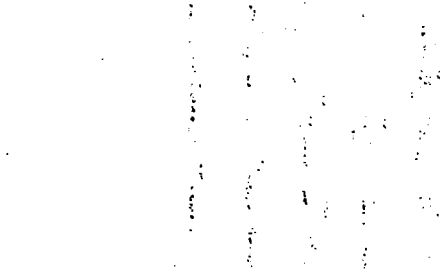

السـلام

انغرسـت فوّهـات البنـادق في ظهـري.. المـلآن بالجروح..قالوا لي..(الأرض مقابل السلام)..وافقت..بَـررتُ بوعدي.. وقّعت على عقود التنازل.. بَرّوا بوعدهم.. -وأنـا أحمل حقائبي وأغادر المنزل- سلّموا عليّ...

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الـــدَّم

أمسكوني.. وأنا أتجوّل بين المخيمات.. دهسوا الشال الذي على كتفي وانهالوا عليّ ضربًا.. خـــرج الجميـــع يـــدافعون عني..انهالت الأحجار من كل مكان..فاستخدموا أســـلحتهم الحيّة..صرختُ فيهم.. "كفى"..وكشفت عن صدري.. ثمـــة قنبلة..مرسومة بالدم..نزعتُ فتيلها في قوة..وانفجرتُ..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

التعـيين

عصيته..فطردني من المترل..وعصيته.. ففصلني من العمل..
وعصيته.. فربت رأسي في حنان.. وعيّنني في رحمته.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

اكـتشاف

كـنت وحيدًا..وعندما أحببتها..صرتُ..وحيدًا جدًا..!!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

جـــــروح غائـــــرة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

"ربما انتصرنا على البشاعة ولو لمرة يا " فارس"..وليمتنا ما تزال في أولها..نكاتُنا لم نقلها بعد.. أسماكنا مازالت حـارة.. ومكـسوة باللحم..ولم نعرِّ عظامها بعد..ولـن تفـوح منـها قـط رائحـة زنخة..وزهورنا لم نقطفها..وموسيقانا لم نرقص على ألحانها.. ولم نبـدأ استمتاعنا بها.. ربما لم تكن جريمة أن نفترق..ربما كانت الجريمـة..ألا نجرؤ على ارتكابها في الوقت المناسب.. الآن.. سيظل اسمـك أبـدًا يأكلني.. حبًا..وشوقًا وحنينًا وجوعًا..كلما ذكرته..وسأظل أحلـم بالساعات التي لن تصدأ.. لأنها لن تكون..وسأظل أستمتع بقبلاتك التي لن أسأمها..لأنني لن أنالها..وستظل شفتاك حارتين بين شفتي.. لن تبردا..لأنني لو أطبقت عليهما.. لما وجدتهما!"

غادة السمان ـــ ليلي والذئب

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

اللحاق بآخر عربة في القطار

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

صوتُ بكائك

لسنوات كنت أريد أن أعرف السر وراء صوت بكائك الذي يقتحم عليَّ غرفتي كل يوم، فيؤرق انفرادي بالليل، ويدفع بالدمعة إلى عيني، لسنوات لم أجرؤ أن أفعلها، وأنظر من خصاص نافذتك، إلا اليوم، لم أستطع أن أقاوم أكثر من هذا، انتظرت حتى نام العالم كله، وتسللتُ على أطراف أصابعي، دقّ قلبي دقة واحدة، أو اثنتين، ثم صَمَتْ، مترقبًا وهيابًا، من الفُرَجِ الضيّقة في النافذة، أمدّ البصر، كنتُ ألمحك بمنتهى الوضوح، وكنتُ ألمح يدَك تمتد لتشغيل الكاسيت، فيصدر صوتُ البكاء الموجع، ثم تتمددين على فراشك، وتغطّين في نومٍ عميق!

قدح قهوة فارغ

قَدّمتِ لي يدَك في سعادة، قبّلتُ الدبلة، ووضعتُها في إصبعك، ثم قبّلتُ يدَك وجبينَك، وعدنا نبتسم معًا، في وجه فلاشات التصوير، ونصافح الأيدي المهنئة التي تحاصرنا من كل اتجاه، في اليوم التالي، رأيتُك بصحبته في "كازينو" على النيل، تُقبّلين يده وجبينه وشعره، وتبكين، ودبلتي مستقرة بمفردها بجوار قدح قهوتك الفارغ.

fb/mashro3pdf

عود ثقاب

التقطُتك من أمام ناصية الملهى، لنقضي الليلة معًا، كنتِ سعيدة وأنت ترمقين المائة جنيه التي أخرجتُها من محفظتي، وألقيتُها تحت قدميك ببساطة، وتحاولين بذل أقصى ما تستطيعين لإسعادي، قدمتِ لي بيدك كأسَ العصير، ثقُلتْ رأسي، ثم غبتُ عن الوعي، استيقظتُ فجأة، لم أجدك جواري، لم أجد ساعتي أو ولاعة سجائري، أخرجتُ آخر عود ثقاب كان متبقيًا في علبة منسية ساقطة بجوار الفراش، أشعلتُ سيجارة، وجلستُ أتخيل وجهك عندما تكتشفين أن المائة جنيه مزورة.

حلـــوى

اشتريتُ لكِ الحلوى بكل ما في جيبي من نقود، وأسرعتُ لألحقك، وأنت تغادرين مدرستك، قبل أن يأتي والدك لالتقاطك، توقفتُ أمامك ومنحتُك ما معي، فضحكتِ، ودبدبتِ بقدميك من البهجة، لمحتِ والدَك قادمًا من بعيد، ألقيتِ بكل ما معكِ من حلوى فورًا، دُستِ عليها، وأنت تندفعين فرحة لتلقين بنفسك بين أحضانه.

fb/mashro3pdf

الباب المغلق

رأيتهم يطردونك بالعصا الغليظة من بيتهم، ويوصدون بابهم في وجهك، رق قلبي، وحملتك بين زراعي، وأنت تزومين، وتحاولين خربشة وجهي ويدي، اشتريتُ لك بعض السمك، وقليلاً من اللبن، لوجبة العشاء، وجلستُ أرمقك تلتهمين كل هذا في رضا، وكأنك لأول مرة تعرفين أن هناك طعامًا، غير بواقي الخبز والجبنة والطبيخ الذي تكرهينه، بعد لحظة ارتفع صوت موائك راضيًا وقريرًا، وأنت تتمددين على الأرض، وتغطين في نوم عميق، في الصباح، استيقظتُ على صوت خربشاتك الحانقة للباب المغلق، نهضتُ، وفتحتُ لك، جريتِ مسرعة، فتبعتُك، كنتِ تقفين أمام بابهم المغلق، وتموئين حزينة، تتمسحين فيه بسكون وذل، وتتطلعين بأمل إلى انفراجة، تتمنين ظهورها في الباب الحديدي الكبير.

fb/mashro3pdf

آخر عربة في القطار *

كان القطار يتحرك ببطء، لا يلبث أن يتزايد، وهو يطلق صافرته الداوية، وأنا خلفه، أرفع من سرعتي لألحق به، والجميع يراقبني ويحثني على بذل مزيد من الجهد، ركاب آخر عربة والكمساري الذي لمحني من النافذة، والواقفون على الرصيف، وعامل التحويلة، أخيرًا اقتربتُ، وقفزتُ قفزة قوية، فأصبحتُ داخ العربة، كنت أمسح عرقي، وألتقط أنفاسي، وأشق طريقي، لأنتقل لعربة أخرى، وعندما وصلت للباب الفاصل بين العربتين، وفتحته، رأيت آخر عربة للقطار تندفع بسرعة أمامي، وتغيب في المنحدر، نظرتُ خلفي في دهشة، لم أجد ولا راكبًا واحدًا، كانت العربة فارغة تمامًا، ومتوقفة أيضًا.

---

* (فازت هذه القصة بالمركز الأول في مسابقة ساقية عبد المنعم الصاوي للقصة القصيرة عام ٢٠٠٧).

fb/mashro3pdf

فَرس أعرج

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كل الذين سألتهم عنك، سواء بشكل مباشر، أو بالتلميح والهمز واللمز، أخبروني عن سيرتك البطّالة، وحتى لو لم أكن قد سألت، واكتفيت بالنظر إلى ملابسك شديدة الضيق، وشعرك فاحم السواد المرسل على ظهرك كأبد، وملامح جسدك التي تبدو متحدية لكل أعناق الرجال التي تلف وتدور حتى تخطف نظرة منك، كلما لُحتِ هنا أو هناك، كنت سأتوصل إلى نفس النتيجة!

هذا يعني أن الطريق إليك سهل.. ولا يحتاج إلا لدقيقة واحدة نتفق خلالها على كل شيء.

من بعيد تبدئين في البزوغ، جمالك ساحق، ونظراتك تصنع حولك هالة من الحضور، لا أقوى على مواجهتها طويلاً، أتنحّى عن الطريق، فتشدني قوة أكبر مني، لأعود إلى موقعي بنفس السرعة!

أتذكر كل الليالي التي قضيتها مستدعيًا ملامحك، ومتخيلاً عنفوانك لحظة الوصول، كل الحكايات التي كنت أتسمعها من

fb/mashro3pdf

هنا وهناك، حتى أرسم لك صورة شاملة وكلّية، تتسع لكل الاحتمالات والأوضاع!

الطريق ضيق وخانق، مليء بالعرق والتراب وخطوات العابرين، بنايات عتيقة، ونساء تنشرن ثيابهن في بلكونات واطئة، وشاحنة مياه ثقيلة تمضي مُسرعة فتثير التراب وتهديه قسرًا إلى الأنوف والحناجر التي تبدأ في العطس والسعال.

تقتربين أكثر، أشعر بدوخة خفيفة وتنميل في باطن قدمي اليسرى، منذ آلاف السنين والرجال الذين يترقبون حدثًا خطيرًا، تنتابهم لحظات ارتفاع وغياب عن العالم، لحظة اقتراب تدشين الحلم، ويرون في لحظة عابرة نتفًا من شريط غائم ومتذبذب مما فعلوا من قبل، وما يُنتظر منهم أن يفعلوا بعد لحظات.

يزداد التنميل، ويجف ريقي، أتلفت حولي لأهرب من مواجهة كل هذه التغيرات، ولأرى هل هناك من يراقبني، أو يعرف ما يدور في ذهني، ويهيج مشاعري، وأمنح نفسي فسحة نفسية قبل ألا يكون هناك مفرٌ من التقدم للأمام.

تحاذيني، فأفتش عن حنجرتي وأحبالي الصوتية، أهمس بصوت غريب عني وعما كنت أريد له أن يكون: "لو سمحتي..أنا.. حضرتك.. كنت"!!!

fb/mashro3pdf

تتوقفين فجأة، وتلتفتين نحوي في دهشة، ثم في سخرية، كنتِ لأول مرة ترينني أشغل حيزًا من الفراغ في مواجهتك، ترفعين الصوت وتتمايلين في وقفتك بدلال: "حضرتي.. نعم يا أمّور.. عايز إيه من حضرتي؟!"

الشمس التي كانت لم تكتمل، تتأجج فجأة في عيني وحدي، مزيد من التنميل والارتفاع -الذي يبدو أنه لن يتوقف- في درجة حرارتي، أحاول رفع رأسي فوق مستوى الطوفان الذي يحاول أن يبتلعني، فيبدأ فصل جديد من لعنتي الخاصة جدًا، وأغيب داخل الرؤى والاحتمالات، أقرفص في باطن غيمة رمادية لا تلد مطرًا ولا تعرف كيف تُظلّ كائنًا حيًا، أراك من خلال ضباب يتكاثف ومسافات تتسع ومدن وحالات، أفتش عن مفردات أو عبارات ذات قيمة، فلا أجد في فمي غير تُرّهات:

- "لا..أبدًا.. أنا.. أصل.. يعني.. كنت بسأل.. بسأل..هي الساعة كام؟"

تعاجلينني بضحكة مستهزئة، ممطوطة وفائرة، تثقبني وتغور في اللحم الحي، تلفت إليّ نظر كل من كان يسير في الشارع، وتدفع بالبسمات المتذاكية إلى شفاههم!

لا أعرف ماذا أفعل بعد تجمدي لحظات أمامك كإرادة ميت، إلا أن أسرع بالهرب مترنحًا، وأنا أشعر بسخونة غير

fb/mashro3pdf

عادية في أذنيّ، وطنين ودوخة، وبضع قطرات من العرق تشق جبيني ورقبتي وتبلل روحي ذاتها!

يتسع البحر ويطغى على اليابس، يجرف بيتي في طريق بلا عودة، تمتلئ الشوارع بحيتان زرقاء وسرطان بحر ثائر يجذبني من أطراف قميصي، أمتطي فرسي الأعرج، وأحاول مسابقة الماء، يغتليني الموج، وتلطمني السلاحف وسمك التونة وذؤابات النخيل التي خرجت لتوها من بيض طائر الرخ الذي دعوته على العشاء أمس..

فأغرق.

fb/mashro3pdf

كما كنتُ أخشى!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ربما لم يكن في وسع أحد ممن حولي أن يلاحظ ما حل بي بهذه السرعة!

أنا نفسي لم أفطن لذلك إلا عندما عدتُ للمنزل بعد تشييع جنازة صديقي الوحيد، ولاحظت أن البنطلون قد طال بطريقة غريبة عما كان عليه في الصباح!

لم أهتم كثيرًا وقدّرت أن شيئًا غامضًا قد حدث، لا مجال لبحثه وتفنيده الآن، فلدي ما يكفي من مشاغل، قمت بثني البنطلون ثنيتين من أسفل وانتهى الأمر عند هذا الحد!

.....

المرة الثانية التي فطنت فيها إلى أن هناك شيئًا غريبًا بالفعل...عندما تركتني فتاتي لأنها اكتشفت -فجأة!- بعد خمس سنوات من الأحلام.. أن هناك من يمكنه أن يدفع سعرًا أعلى في كل هذه الفتنة التي جعلها الله في ابتسامتها!!

عدتُ لمنزلي عازمًا على إعدام رسائلها كلها، وإلقاء الدباديب والعطور التي تذكرني بها من النافذة، مددتُ يدي

fb/mashro3pdf

لأعلى الدولاب لأُخرج "صندوق الكتر" -كما كنتُ أسميه!- الذي يحتوي على كل ما يخصها، ولكني فوجئت أن يديّ لا تصلان إليه، واضطررت للاستعانة بكرسي حتى أطوله، وقد أدهشني هذا للدرجة التي جعلتني أهرع "للمتر" لأقيس طولي في قلق!

وكانت المفاجأة.. لقد قلّ طولي نحو أربعة سنتيمترات.. هذا أمر غير معقول بالمرة!

أحسست بفزع، واهمت عينيّ بالتشوش، وفكرتُ أن أذهب لطبيب، لكن التعب ما لبث أن أخذ بزمامي، وأسلمني لنوم مضطرب، وعندما جاء الصباح، لست أدري لماذا كنت قد نسيتُ الأمر برمته!

.....

فرصة السفر التي سعيتُ إليها وجاهدت لتكون من نصيبي..ضاعت بسهولة وبساطة من بين يدي، ولم تترك لي إلا مزيدًا من الأسئلة عن القضاء والقدر، ولا إجابة واحدة يُمكن أن تُشفي غليلي!

وكعادتي وقت الهزيمة.. لم ألبث أن أسلمت عيني لنعاس خانق، أسلمني بدوره لاستيقاظ خشن في الصباح، وألمٍ في الحلق وسعالٍ لا ينقطع!

fb/mashro3pdf

ناديتُ أمي بصوت مشروخ طالبًا منها أن تَلْحَقَني بأي دواء، فجاءني صوتُها من المطبخ:

ـــ "فيه مضاد حيوي جنبك على الكومودينو".

مددت يدي، ولكني لم أستطع الوصول إليه، حاولت ثانية، فأحسست أن المسافة بيني وبينه أكبر من المعتاد، أزحت الغطاء، وأنا أهم بمغادرة الفراش رغم تعبي، فهالني ما رأيت، لقد وجدت قدميّ لا تلمسان حافة الفراش، أنا الذي كنت أمازح أمي من قبل، بدعوى أن السرير "قِصِر عليا"!

شعرت بفزع ورعب.. وتذكرت موضوع "الدولاب" الذي لم أطله، فانتفضت من مكاني، وارتديت ملابسي على عجل، وخرجت من المنزل مهرولاً.

.....

أخذ الأمر مني وقتًا طويلاً حتى استجمعتُ نفسي وشرحتُ للطبيب ما حدث لي!

وبدا أنه لا يصدق، ولكني رحتُ أُقسم له، وقلبي يكاد يتوقف في كل لحظة، فكشف عليّ، وطمأنني أن كل مشكلة ولها حل! ثم كتب لي قائمة طويلة من الأدوية والعقاقير أغلبها مضادات للاكتئاب والهلوسة!

وعندما طلبتُ منه قياس طولي، وفعل، كدت أصاب بجلطة في المخ، إذ أن الطول الذي أخبرني به، كان يقل عن طولي السابق ثلاثة سنتيمترات أخرى كاملة!!

fb/mashro3pdf

هنا بدأ من حولي يلاحظون ما حل بي!

صحيح أنهم في البداية كانوا يتهمون أعينهم بالخداع، أو يتصورون أني أسير مُقوّسًا ظهري لمرض أَلمّ بي أو شيء من هذا القبيل، مما يعطي الانطباع بقصر قامتي، لكن مع الوقت والتركيز في حالي ومظهري، بدأوا يدركون الحقيقة التي لم يكن يملك أحدهم أي تفسير أو تعليل منطقي لها! وبدلاً من الطبيبُ، زرتُ عشرًا وعشرين، في مختلف التخصصات، فكان جهلهم بما يحدث لي، أكبر دليل على أن الأمر لا حل له، وأن ما أواجهه لا يمكن تفسيره بالعقل والمنطق!

.....

كأنه لم يكن يكفيني ما يحدث لي، مرة واحدة، وجدتُ رئيسي في العمل يحتدّ عليّ، ويهينني بشدة، أثّر ذلك في نفسيتي لأني لم أكن مخطئًا، عندما وصلتُ لمترلي، عدتُ ألاحظ تقلص طولي، أصابني الاكتئاب وقررت ألا أغادر مترلي مرة أخرى حتى أفهم ما يحدث لي.

.....

استيقظتُ في الفجر على صوت صراخ أمي..

مات أبي..

fb/mashro3pdf

وفي لحظة واحدة أحسست أن طولي يتقلص.. حتى رأيتُ حافة فراشي في مستوى نظري!

هرعت إلى الباب ومددتُ يدي لأفتحه.. فلم أطُل مزلاجه!

صرخت بأعلى طبقة صوتية أمتلكُها.. فلم يسمعني أحد..

أحسست أن طولي يعاود التقلص بسرعة رهيبة.. أصبحتْ حافة الفراش أعلى من مستوى نظري بكثير..!

انفتح الباب فجأة..

وهرولتْ منه أختي لإطلاعي على الخبر المشئوم..

كانت عملاقة.. وصوتها رهيب..

لم ترني..

رحت أتنطط أمامها.. وأحاول الصعود على الفراش..لكني لم أستطع لعلوه الشاهق..

خرجتْ مسرعة من الحجرة وهي تعتقد أنني لابد قد علمت.. وذهبت لعمل الإجراءات اللازمة..

وأغلقتْ الباب من جديد..

.....

بعد فترة.. أحسستُ أني أعاودُ التقلص.. حتى أصبحتُ أملك القدرة على العبور من تحت باب الغرفة..نمتُ على بطني.. وزحفت.. حتى عبرتُ بالكامل..

fb/mashro3pdf

كان المكان مزدحمًا بالعمالقة!

لا أحد يعرفني..

ولا أعرف أحدا!

أصواتهم تنزل إليّ كأنما هي قطع من الحِمم تهوي من أعلى قمة بركان ثائر..وخطواتهم.. تزيح الهواء من حولي حتى تكاد تُلصقني في الحائط..

ماذا أفعل؟!

قدم ترتفع.. وقدم تهوي..مهددة حياتي بالانتهاء في أي لحظة!

وأبي.. أريد أن أراه لآخر مرة.. ولكن كيف؟!

المسافات أصبحت شاسعة.. والسير مخاطرة ربما لا يمكن النجاة من آثارها..

أحسست بالانكسار والضآلة..عدتُ لغرفتي بنفس الطريقة.. ودخلت تحت الفراش وأنا أحاول أن أقنع نفسي أن كل هذا حلم ثقيل لن ألبث أن أستيقظ منه.. حتمًا سأستيقظ منه!

.....

واستيقظتُ في الصباح..فقط لأتأكد أن شيئًا من حالي لم يتغيّر..

fb/mashro3pdf

سقف الفراش كأنه سماء عالية وبعيدة، أنظر إليها بذهول.. وضوء الشمس الذي يدخل على استحياء من الشيش الموارب يلسعني ويؤلم عينيّ..

أزحف حتى أعبر من تحت الباب ثانية..

المكان أكثر هدوءًا وإن لم يَقِلُّ زحامُه.. آيات من القــرآن الكريم تملأ الجنبات..أصوات نهنهة وبكاء مكتــوم وعبــارات حادة تشتبك مع زفرات حارة وطبطبات باليد علــى ظهــور ملتفّة بالسواد.. وأعين دامعة وشعور محلولة.. ووجــوه يبــدو عليها السهر والإرهاق..

هل انتبهوا لغيابي؟

هل بحثوا عني ويأسوا من العثور عليّ؟

كنت أتحرق شوقًا لرؤية أمي والاطمئنان على حالها.. ومع ذلك لم أحاول لفت انتباه أحد.. هذه محاولة محكــوم عليهــا بالفشل!

ورغم كل هؤلاء الذين يزحمــون بيتنــا.. أحســست أني وحيد.. وغريب..

عدتُ أزحف لغرفتي...

fb/mashro3pdf

وأنا لا أستطيع أن أركّز ذهني على فكرة واحدة عـــن أي شيء في الدنيا..

.....

سوف أعيش تحت الفراش..هذا ما هداني إليه تفكيري..

وأتسلل من حين لآخر لأحصل على بعض الطعـــام مـــن المطبخ..القليل سيكيفني دهورًا!

ماذا قدّم لي العالم حتى أحزن على مفارقته؟

الحق أن هذا أفضل لي..فأنا غير مضطر للمشاركة في عاره الآن.. ولا تحمل سخافاته التي لا حد لهـــا...ولا الاســـتماع لأخباره المزعجة التي ربما تتسبب في تقلـــيص حجمـــي مـــرة أخرى!

سوف أطمئن على أمي وأراها وأسمع صوت أختـــي.. لـــن يتغيّر غير أنهم لن يتمكنوا من رؤيتي وسماعي، ومن يدري ربما أجد وسيلة ذات يوم لكي أخبرهم بوجودي وسري الرهيب..

.....

بعد أيام...

عندما استيقظتُ وتسللتُ للمطبخ للحصول على ما آكله..

fb/mashro3pdf

لاحظتُ ظلامًا غير عادي يكتنف المكان كلـه.. ظلامًـا وحشيًا وسميكًا.. يمكنـك أن تقـبض بأصـابعك عليـه.. وتتحسسه.. فتنفر منه..

ولا صوت يعلو مطلقًا..

عاودني شعور الفزع.. تسللتُ إلى حيثُ حجرة أمـي.. لم تكن هناك.. حجرة أختي.. لا أحد..

قلتُ في نفسي أنهما لابد قد خرجتا لمشوار ما، ولن تلبثا أن تعودا ثانية..

مرّ اليوم بطوله.. ثقيلاً وخانقًا ومليئًا بألف احتمال للـهلع والضياع.. ولم يرجع أحد..

نفس الأمر تكرر في اليوم الثاني.. والثالث.. والرابع...

حتى خمنتُ ما حدث في النهاية... وأنا أكاد افقد الوعي من هول الصدمة..

لقد رحلتْ أمي لقريتها بصحبة أختي..

فبعد موت أبي واختفائي غير المبرر.. لم يعد لديها من تخاف عليه.. أو تبقى من أجله هنا.. أما هناك.. فالأهل والأقـارب والأحباب...

.....

fb/mashro3pdf

يومًا بعد يوم يقل مخزوني من الطعام..

ولكن الغريب أن هذا لم يكن يقلقني..

حتى عندما انقطعتْ المياه والنور تمامًا عن الشقة.. لم أهتز..

و لم أفكر فيما ينتظرني غدًا..

فقط.. كنت أُكْثِر من التحديق في صورة عائلية كبيرة.. تضم أبي وأمي وأختي وأنا في المنتصف.. ونحن نضحك في وجه فلاش التصوير.. ولا ندري ما تخبئه لنا الأيام غدًا...

.....

كان هذا قبل أن تنفد آخر قطرة ماء بحوزتي..

ذات مساء...

أُضيئتْ كل أنوار الشقة فجأة..

وسمعتُ صخبًا وضجيجًا.. كاد يهتك طبلتي أذني..

خرجتُ مهرولاً من حجرة الصالون التي كنتُ بها..

فوجدتُ هذا الجمع الغفير من البشر...

يبدو أن أمي قد باعتْ الشقة..كما كنت أخشى!

كبار وصغار وقط أسود ضخم...

أحسستُ بالخطر..

fb/mashro3pdf

أسرعتُ من جوار الحائط لأتسلل لحجرتي.. بأقصى ما أسعفتني به قوتي...

لكن هذا جذب عيون القط نحوي أكثر..

انفلتَ من صاحبه في لحظة واحدة... وانطلق نحوي مباشرة وعيناه المتسعتان لا ترتفعان عن جسدي الضئيل اليائس المستميت في الفرار....

رأيته فوقي تمامًا.. وأنا محصور بين جدارين..لا مهرب ولا مفر..أنتظر معجزة ما..أنتظر فرجة أمل.. ولا يمكنني أن أصدّق أن هذه نهايتي فعلاً..

يرفع مخالبه عاليًا..

وأنا أشعر بالخدر يسري في جسدي.. حتى لم أعد قادرًا على تحريك ولا عضلة واحدة..

ولا أملك حتى الرغبة في هذا...في حين يتعالى صوت مواء خانق من حولي ويتردد أكثر من مرة في تواصل مثير للأعصاب....

.....

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بلاد الفـرح واللؤلؤ

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

وأنا أضغط بكل قوتي على رقبتك.. وأغرس عينيّ في عينيك، لأصب فيهما جحيمًا سائلاً من الحقد والغضب والكراهية.. تراكِ بماذا تفكّرين في هذه اللحظة بالذات؟ هل تتألمين بالقدر الذي يبدو في عينيك؟ لماذا لم تعودي تصرخين الآن مثلما ملأتِ الدنيا عويلاً عندما بدأتُ في خنقك؟ هل خارت مقاومتك بفعل غياب الأوكسجين عن رئتيك؟

كنت تضحكين عندما لقيتني.. لماذا لم تعودي تضحكين؟ هذا الازرقاق في وجهك.. أبمجرد أني أقتلك؟ أم أنك تريدين إرعابي؟ والسؤال الأهم.. لماذا أسأل كل هذه الأسئلة؟!

أضغط أكثر.. أكثر.. من أين تأتيني كل هذه القوة الغاشمة؟

ارتخاء جسدك التدريجي.. يُهدئ ثائرتي.. وتوقف مقاومتك النهائي.. يبعث في جسدي قشعريرة فجأة.. لقد انتهيتِ..

fb/mashro3pdf

يبدو هذا واضحًا لأي طفل.. لقد انتهيت تمامًا.. أرمقك بنظرة طويلة.. طويلة..أقوم من فوقك.. ثم من على الفراش.. بتؤدة..

أجلس على كرسي في مواجهتك.. ولا أستطيع رفع عيني من عليكِ..

حسنًا.. لقد نفّذت خطتي ببراعة.. شاهدني البواب وأنا أركب سيارتي متوجهًا للشغل، ثم غافلته ودخلت العمارة من الباب الخلفي، و لم يلاحظني.. أبلغتهم في الشغل أني في مأمورية.. وسيارتي تقف بعيدًا عن هنا.. ارتديت" قفازًا" وأنا أقتلك.. فتحت باب الشقة "بطفاشة" لتبدو عليه آثار اقتحام.. ولن أنسى طبعًا أن أسرق بعض الأشياء الثمينة من أي مكان..هذا منتهى العقل وسلامة الذهن.. أنا في قمة صفائي.. نعم.. لا شك في هذا.. أنا مازلت صاحي الذهن تمامًا..ولن أنهار مثلما يحدث في السينما.. لن أنهار..لن أنهار أبدًا..ماذا يتبقى يا تُرى؟

نعم.. تذكرت.. سوف أخرج في هدوء الآن..أتسلل من البيت.. ولا ألبث أن أعود في موعدي المعتاد.. وبالطبع عندما أدخل الشقة..سوف أمثّل أني فوجئت وصدمت وأملأ الدنيا صياحًا وبكاءً.. مع قليلٍ من الهستريا وربما فقدان وعي مرسوم كذلك.. ما رأيك في تخطيطي؟ ترى ماذا كنت ستقولين عن ذكائي الخارق؟ ولن يلبث أن ينتهي كل شيء..

أخيرًا.. سوف ينتهي كل شيء..كل شيء..

fb/mashro3pdf

أزفر.. أعيد النظر إليك.. وأغوص في أعماق السؤال..هل فعلاً انتهى كل شيء؟

عيناك الشاخصتان.. كم رأيت فيهما من أحلام ووعود؟

يداك الملقاتان في إهمال.. كم ربتا جبهتي.. وهدهدا آلامي؟

هذه الحجرة.. هذا الكرسي.. هذه الطُرقة.. هذه المرآة.. هذه الأباجورة.. هذا الكتاب.. كل الأحجار والزوايا..أتلفت في كل مكان..ولكنك الآن لم تعودي تنتمين إلى أي منها.. لقد أصبحت مثل وردة مجففة بين صفحات كتاب..أريد أن أضحك.. صدقيني أريد أن أضحك ومن قلب قلبي.. ولكني لن أضحك الآن.. لست قاسي القلب إلى هذا الحد.. سوف أأجل الضحك قليلاً.. ربما إلى أن يعلم عشيقك بالأمر.. ربما إلى أن يأتي دوره وأزوره في مترله بكل ود وحنان.. كما كانت زيارتي لك اليوم..

أريد أن أرى شكله.. طوله وملامحه وتسريحة شعره ولون عيونه ويديه.. خاصة يديه.. اللتين كتبتا لك كل هذا الكلام من الحب.. الخطابات الوردية ذات الشريط الأحمر، التي رأيتك خلسة تخبئينها في المكتبة.. في الرف العلوي منها.. حيثُ تتوقعين أني لم أعد أنظر.. خلف أحد الكتب الضخمة.. لم أكن أشك فيك.. هذا حق.. ولكن خاطرًا عابرًا جاءني ذات

fb/mashro3pdf

مرة.. وطاردته وطردته.. لكنه عاد أكثـــر إلحاحًـــا.. وظـــل يراودني.. حتى هزمني.. ماذا يا ترى تخبّئين عني؟؟

وكانت الصدمة.. كل هذا الكلام عن علاقات مكشوفة.. عن أحاسيس مشبوبة.. ومقابلات ومكالمات و.. و.. يـــاااه.. وألف ياه..

والنذل لم يكتب اسمه ولم يكتب اسمك.. لا أنكر أن هـــذه حركة ذكاء منه.. لا أنكر هذا لحظة..

وكم تعذّبت.. كم جرّعني الانتظار مـــرّ العلقـــم.. كـــم جننت.. كم هذيت في صحوي.. ومشيت في أثناء نـــومي.. شهر كامل.. وأنا أُشوى على نيران جهنم.. وأتقلب.. وتزداد النار كل لحظة تأججًا.. وينضج جلدي بالعذاب.. ويسقط.. فما يلبث أن يطلع لي جلدٌ جديد لشيءٍ جديد.. وأنت.. كمـــا عهدتك دائمًا.. أنت هي أنت..تضحكين وتمرحين..لك وجه وقلب وأسلوب طفل.. ولا يبدو أن ثقل الخيانة يمثّل لـــك أي شيء.. أنتِ؟ أنتِ بالذات؟ لا أكاد أصدق! لا يمكن.. ولكن الخطابات.. عليها اللعنة وعليك وعليه وعلى الدنيا بأكملها..

أقوم من مقعدي في عصبية طاغية.... ثم لا ألبث أن أرتمـــي عليه في إعياء..

fb/mashro3pdf

أين كنت تخبئين أيامنا وأنت معه؟ وأين كنت تُهرّبين وعودنا وأنت في موعده؟ كيف كنت تقصفين رقبة ذكرياتنا المشتركة وأنت تعانقين ذكرياته؟ أين كان ريقي وعرق جبيني وضحكي وبكائي يغيب.. وأنت تتمرّغين بين ذراعيه؟

لماذا لا تجيبين؟ هل تعتقدين أن الموت حجة كافية لكي لا تجيبي؟ أجيبي.. عليك اللعنة.. أجيبي.. أجيبي..

أفيق لأجد نفسي عند الفراش.. وأنا أهزهزك من كتفيك في عنف.. فأتوقف مذهولاً.. وأنا أحدّق في عينيك المفتوحتين الرانيتين نحوي في إصرار..أتركك تسقطين ثانية على الفراش.. وأنا أتراجع بظهري حتى ألتصق بالحائط..

تأسرني عيناك.. كما لو كنتِ حية ما تزالين.. تأسرني عيناكِ..ولا أستطيع تحويل عينيّ عنهما..لا أنكر لحظة أن عطرك ..حتى وإن كنت قد غادرت عالمي.. ما يزال يغلّف حبات الروح.. مازلت أحس الندى يتقطر من عيونك في قلبي.. مازلت أشعر بك تملئين المكان والزمان والغائب والمشهود.. تراك لازلت حية بعد؟

أرتجف لهذا الخاطر الغريب..أقترب منك في حذر..أدقق النظر في خوف..أمد يدي وأضعها على قلبك.. لا.. لا.. أنت ميتة لا شك.. لا شك أنك ميتة..ميتة.. ميتة..م.. ي.. ت..

fb/mashro3pdf

ة..أجلس ثانية.. ولكني لا ألبث أن أقوم في عنف..وأردد في ذهول: ميتة..أنت ميتة..

أمسك الأباجورة الموضوعة جوار الفراش، وأقذف بها فجأة ناحية المرآة.. فتتهشمان.. الأباجورة والمرآة ونفسي معهما..والدنيا.. أتمنى أن تتهشم الدنيا فوق رأسي..ورءوس الجميع.. أنتفض فجأة..ينتابني ألم مسعور..ينخر في قلبي.. أمسك صدري وأنا أصرخ..أصرخ.. أصرخ.. أرمي بنفسي على جسدك الهامد.. أحتضنك في جنون غاشم.. وأنا أبكي في حرقة..لماذا.. لماذا يا حبيبتي.. لماذا؟!!!

البكاء يشق قلبي.. ومن قلبي تطلع وردة مغروسة في الدم.. تتساقط أوراقها رويدًا.. ورقة.. ورقة.. ومع آخر ورقة.. يلفظ القلب كل دقاته.. ويغادر جسدي ويلقي بنفسه من قمة صدري للأرض.. فيتهشم وسط بقايا أوراق الورد..

لماذا يا حبيبتي.. لماذا؟

وأنا.. وأنت.. أعني.. الحب.. أقصد.. ربما.. أأ..أأ..أأ..

ألهث بشدة..وأشهق في تتابع، حتى أتخيّل روحي تتزلق من حلقي.. أسقط على الأرض.. وأسند رأسي للحائط..تغيم المرئيات أمام بصري..

fb/mashro3pdf

أراك تنهضين من رقدتك..فزعة.. ملهوفة.. تندفعين نحوي وتحضنين رأسي في صدرك.. وتهمسين "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم" وتندفعين لتحضري لي كوب ماء..

أراك تسهرين الليل ولا تنامين.. لتوقظيني في مواعيدي المهمة..

أراك تكتمين أناتك وتعانين صامتة.. حتى لا تعكرين فترات راحتي..

أراك.. تهاجرين إلى كل أساطين الطب في كل مكان.. لتحققي لي حلم الأبوة رغم معرفتك أن المشكلة عندي..

أراك.. تكتملين..وتتألقين.. تعزفين لي وحدي.. على قمة هذا العالم.. نشيد الوجد...وتقودينني لبلاد الفرح واللؤلؤ..

أراك تكبرين.. وتكبرين.. تتقدمين ناحيتي.. وفي عينيك وفي يديك وفي شفتيك وفي روحك.. نظرة عتاب كبيرة جدًا.. ومصرّة جدًا..ورغم ذلك.. تمدين يدك الكبيرة كعالم..المتسعة كضحكة بريئة.. تربتين كتفي.. وتهمسين.. أحبك.. أحبك..

وأنا أيضًا أحبك يا حبيبتي وأمي وزوجتي.. أحبك يا وطني.. يا دنسي وطهارتي.. يا خوفي وأمني.. أحبك.. أحبك.. والله العظيم أحبك..

fb/mashro3pdf

بيد أني لا ألبث أن أراك تقابلينه.. وتضحكين في وجهه.. أرى يديك في يديه.. أراك تكلمينه عني وتضحكين في سخرية.. فأهتز من البكاء.. وأشتعل بالألم..وأغوص إلى أسفل.. إلى أسفل.. أسفل.. أسفل.. أسـ..

أنتفض من مكاني بغتة..على صوت رنات جرس الباب المستفز..

أجن.. أنظر حولي في كل مكان..أرتعش.. أهم بالقفز من النافذة.. أتراجع.. اهدأ.. اهدأ.. أنت في بيتك.. اهدأ..تدور عيناي في كل مكان..

الصوت اللحوح.. من الأحمق الذي يأتي الآن؟

ماذا أفعل... ماذا أفعل..؟

لن أرد.. هذا عين العقل.. لن أرد.. سوف ينصرف الطارق في أي لحظة.. لن أرد.. أزرع الغرفة جيئة وذهابًا.. لن أرد.. اهدأ.. لازلت محتفظًا بنقاء ذهنك.. لن ترد.. ولن تنهار.. أنا أعرف أنك لن ترد ولن تنهار.. اهدأ.. اهدأ..

الصوت اللحوح.. الذي يبدو كأنه يدقّ في أذني مباشرة..لن أرد.. لن أرد..

أجلس..ثم أنهض.. ثم أجلس..ثم رويدًا وببطء..يفتر ثغري عن ابتسامة غريبة.. تواصل الاتساع كل لحظة.. ولماذا لا أرد؟

fb/mashro3pdf

أتأمل الخاطر في لذة عجيبة.. لماذا لا أرد؟ ما قيمة أي شيء الآن؟

ولا أدري لماذا انتابني فجأة كل هذا الاستهتار.. لماذا قررت فجأة أن أفتح الباب.. وليكن ما يكون..لماذا مشيت نحوه كالمنوم.. وبدون أي تفكير فتحته فجأة.. حتى إن الزائر المجهول انتفض من فرط المفاجأة..

ـ أنا.. أنا آسفة.. كنت أحسب حضرتك في العمل..أنا.. أنا.. زميلة المدام في العمل و.. هل هي موجودة؟

نعم قتيلة في غرفتي..يا حمقاء.. أتممتم في نفسي وابتسامتي تزداد..من هذه المرأة؟ وماذا تريد؟ أتنحنح لأرتب أفكاري..أجيب في خشونة:

- لقد خرجت.. أي خدمة؟

يبدو على ملامحها اضطراب عظيم.. تهم بالانصراف، إلا أن شيئًا ملحًا خطر لها فجأة، فجعلها تعيد التفكير.. بعد استدارتها للانصراف.. تعود لي بوجهها وتهمس برجاء:

- أرجوك لي أمانة هنا.. أريدها حالاً.. الموضوع لا يحتمل التأخير..

- أي أمانة تعنين؟

fb/mashro3pdf

- مجرد مجموعة خطابات.. لقد أعطيتها لزوجتك لتحفظها لي.. أنا أعرف أين وضعَتها..

- خطابات.. خطابات تخصك.. هل تقصدين.. أعني خطابات.. بحق.. خطابات..تعنين خطابات عادية.. خطابات..خطابات..

- نعم.. نعم.. أنا أعرف مكانها.. اسمح لي فقط بالدخول.. أرجوك مجرد ثوان..

أفسح لها كالمشلول.. كانت تتجه ناحية المكتبة.. ناحية الرف العلوي.... وتزيح أحد الكتب الضخمة.. وتلتقط.. نعم تلتقط رزمة من الخطابات الوردية الملفوفة بشريط أحمر!!

fb/mashro3pdf

صباحُكَ سُكّر

(إلى محمد هشام عبيه.. ذكرى أيام الشقاوة)

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ولكن الذي يبدو في عينيكَ الآن مختلف..

نفس النظرة.. لا أنكر ذلك...نفس اتساع العينين في اندهاش.. ونفس البسمة المختبئة بين الجفون.. ولكن.. صدقني.. الذي في عينيكَ الآن مختلف.. يبدو طازجًا جدًا..ودائمًا جدًا..ويبدو أنه إليكَ ينتمي بشدة.. ويبدو أنكَ أخيرًا قد وجدتَ الذي يريحكَ.. والذي لكَ يبقى ويدوم.. أهمس..من كل قلبي.. وأنا أغوص في عينيكَ أكثر: "صباحك سكر"...

.....

سنوات العمر التي مضت.. هل تذكرها؟ جمعتنا وفرقتنا..أسعدتنا وأحزنتنا.. أعطتنا وأخذت منا..ولكنها ظلت دائمًا تشدّ الخيط السحريّ الذي ما انفك يربط أقدارنا وأرواحنا للأبد..

هل أخبرتك من قبل كم أني أحبك؟

fb/mashro3pdf

هل أخبرتك من قبل كم أني أفتقدك؟

أريد أن أحكي لك شيئًا حدث لي ذات يوم.. اليوم الـذي قلتُ لحبيبتي إني أريد السفر لبلاد بعيدة.. من أجل حفنة أموال نبني بها بيتًا يؤوينا.. أتدري ماذا قالت لي؟.. أطرقت قليلاً.. ثم لم تلبث أن رفعت إلى عينين مغسولتين بالدموع.. أطبقت على يدي في قوة..وأحسست أنها ترتجف كعصفور فاجأه البلـل في ليلة عاصفة..وهي تهمس: "ولكن دفء قربك يؤويني..ويؤوي حبي..ولا أفضّل عليه أبدًا بيتًا من الحجارة والأسمنت!!..أريـد أن أتغطى براحة يدك.. ولا أريد كرة أرضية تلـف بـأمري يكون ثمنها فراقك!!"

.....

يا أخي وصديقي..وكنت أريد أن أقول لك مثل ذلـك.. يوم قررتَ السفر واخترت الغربة من أجل حفنة أموال.. أنـا أعرف طموحك وأقدّره.. ولكني أعرف لذة القـرب منـك وطموح الحصول على صداقتك أكثر.. ويوم جئت تـزف إليّ النبأ وعلى وجهك كل هذه الفرحة.. لم أملـك إلا أن أحتـرم قرارك.. وأتلفع بالصمت.. كنت أضحك في وجهـك وأنـا أودعك..ولكني أحبس دموعي في قفص الكبرياء.. أسلم عليك بيد ثابتة قوية.. ولكن ترتجف أعصابها في لوعة..رغمًا عـني.. ورغمًا عنك.. ولا أدري هل سأراك ثانية أم لا..فالغربـة إذا ابتلعت أحدًا، لا تلفظه أبدًا!

fb/mashro3pdf

الليالي أصبحت أطـول.. والنـهارات أصـبحت أثقـل والساعات والدقائق والثواني..

البلاد التي احتضنت أحلامنا.. والأحلام الـتي احتـضنت أرواحنا.. والأرواح التي احتضنت أوقاتنا الذاهبـة والآتيـة.. البشر والمواقف.. كـل هـذا.. كـل هـذا.. أستحـضره بلحظة..أدخله بلحظة.. أُولد فيه وأموت ليلاً ونهارًا..

أشياء كثيرة بعد رحيلك تغيّرت.. ربما إلى الأحسن.. ربمـا إلى الأسوأ.. ولكني كنت في شغل عنها.. إذ كان عليّ الآن أن أبدأ ترتيب حياتي من جديد.. وأنت لست فيها..

كان عليّ أن أستيقظ في الصباح.. ولا أتصل بك لأقـول لك كما تعودنا: صباحك سكر!

كان عليّ أن أتناول طعام الغداء بمفردي.. ولـيس وسـط ضحكنا ونكاتنا وسخريتنا من كل شيء.. حتى من أنفسنا!!

كان عليّ أن أجلس صامتًا أمام التلفاز.. أتابع الأخبار التي تفضلها.. دون تعليقاتك وحماسك.. دون انفعالك المبالغ فيـه دائمًا..ودهشتك الطفولية في مواجهة أنباء الموت والدمار..

كان عليّ أن أضحك وحدي.. وأبكي وحدي.. أحـب وحدي.. وأكره وحدي..

fb/mashro3pdf

كان عليّ.. وكان عليّ..

.....

وأُحني رأسي للأيـــام.. علّهـــا تمـــضي.. علّهـــا تأخـــذ دورها..ويأتي عام فيه أُغاث.. وأراك....فيه يحمل ربيع اللقيـــا لقلبي باقة..أو وردة..ويكف الزمن يده عن أحلامنا..

.....

ولكنك كنتَ تكتمل.. يسطع بريقك أكثر وأكثر.. أقـــرأ اسمك في الجرائد والمجلات..يتحدث عنك الجميع..وقلبي يتنطط من الفرحـــــــة بين ضلوعي.. أشير إلى صورتك وأقول لكل الناس: هذا أخي.. هذا صديق عمري..

وتبدو في الصور المختلفة.. وكأنك سعيد.. هل كنت حقًا سعيدًا؟؟

وتبدو وكأنك تضحك من القلب.. هل كنت حقًا تضحك من القلب؟؟

وأشتاقك أكثر.. وأنتظر عودتك بلهفة أكثر..

ساعات طويلة..أفكر فيك.. تلفـــني الـــذكري بيـــديها.. تأخذني أيامنا..وتحملني معها لبلاد غريبة..أيام الكلية المصنوعة من خلطة السعادة بالدموع.. من مزيج الذهب بالتراب.. من خلاصة العلقم بالشهد.. مني ومنك ومنهم..قـــصص الحـــب الساحرة الصاخبة لدرجة الجنون..والنهايات الفـــاترة البـــاردة

fb/mashro3pdf

لدرجة الموت.. الأحلام التي تولد مع كل شهيق تتنفسه.. وتموت مع كل زفير..كلام الليل.. الهامس المتسحب.. في التليفونات العمومية من وراء الآباء والأمهات.. الانتظار في الشوارع المجهولة..تحت النوافذ المطفأة الأنوار.. في عز البرد وعز الحر من أجل طلة رأس لبنت تحبها بعد أن ينام الأهل والجيران..و"محمد منير" يصب البترين على النيران: (لما النسيم.. بيعدّي بين شعرك حبيبتي بسمعه.. بيقول آهات..وعطورك الهادية اللي كل ما تلمسك.. بتقول آهات..).. ثم يأتي " نزار" ليكمل على إحساسك: "إذا أتى الشتاء..وحرّكت رياحه ستائري..أحس يا صديقتي.. بحاجة إلى البكاء..على ذراعيك.. على دفاتري..إذا أتى الشتاء..وانقطعت عندلة العنادل.. وأصبحت كل العصافير بلا منازل.. يبتدئ التريف في قلبي وفي أناملي.. كأنما الأمطار في السماء.. تهطل يا صديقتي في داخلي.."

وحلم السفر للخارج.. يحط كعصفور أخضر الريش على أغصان قلوبنا.. ويترع الواقعُ الريشَ.. ويحيل الخضرة سوادًا.. ويكسر كل الأغصان..

والبحث عن عمل في كومة قش..حتى ينتهي كل القش ولا نجد العمل..والفزع من الماضي والحاضر والمستقبل..

أيام... وأيام... وأيام...

fb/mashro3pdf

ولكنك الذي كانت دائمًا يدك في يدي لنجتاز كل هـذه الغابات.. كل هذه الأمواج.. كل هذه البلاد والمواقف..كنتَ الذي أفزع إليه ويفزع إليّ.. كنتَ أنا.. وكنتُ أنت..

فأين أنا الآن منك.. وأين أنت؟

بيد أن هذا الشعور الذي تعرفه جيدًا..والذي طالما حدثتك عنه.. ظل دائمًا يصيح بداخلي.. أننا لن نفترق مهما يحمل الزمن أجسادنا عبر الطرق الطويلة الملفوفة بالظلام.. مهما يستمر تساقط الأيام من نتيجة الحائط.. يومًا وراء يوم وراء يوم.. مهما تظل الشمس تشرق ثم تغرب ثم تشرق.. لن نفترق..

.....

كنت أنتظرك.. وأعلم أنك سوف تأتي..سوف يشرق وجودك الحي الباهر.. سوف أنتشي بربيعك...وأشم ورود صحبتك.. سوف أراك ثانية.. لا شك سوف أراك.

.....

واليوم..عندما رن جرس التليفون في منزلي.. أحسست أنه أنت.. لا تسلني كيف.. دق قلبي..وارتعشت أطراف أصابعي وأنا أمد يدي للسماعة.. حتى إنها كانت مفاجأة أن والدتك هي التي تكلمت..كنت أنتظرك أنت.. كنت أفتح قلبي لصوتك أنت.. ولكن لا يهم.. إنها تطلب مني المجيء فورًا

fb/mashro3pdf

لأنك أتيت.. بعد كل هذه الغربة أتيت!! لم أكد أصدق نفسي من الفرحة..أقف وأنا أمسك السماعة..ألصقها بأذني أكثر..أستعيدها الكلام مرارًا.. فأتأكد.. ولكن صوتها لم يعجبني.. كان فيه حزن عربيد.. كان فيه لذع الدمع..كان فيه دنيا من الآلام.. لكني حقيقة لم أبال.. سوف أراك.. فليس لشيء أهمية بعد ذلك..

ولا أدري كيف ارتديت ملابسي على عجل.. كيف ركبت التاكسي المناسب.. ولا كيف وصلت لمنزلك بهذه السرعة..

سوف أراك..أخيرًا..سوف أراك..

كان باب الشقة مفتوحًا.. وأصوات مكتومة تتصاعد..من مكان مجهول..ثمة رائحة عطرية غريبة تغمر المكان.. هذه والدتك ملقاة على كرسي عتيق في الصالة.. تشير بيدها إلى غرفتك.. لم تقم لتحيتي كالعادة.. لم تحتضني وتدعو لي..أطرق باب غرفتك مرارًا.. وهي تنظر نحوي وتبتسم في مرارة.. ولا تتكلم..أطرق ثانية..لا أحد يرد..فأدفع الباب دون أن تأذن لي..وأراك..بعد كل هذا العمر..تتشكل حدقة عيني بحدود تكوينك..وأراك.. أنت..حقيقة هو أنت.. ممدًا على الفراش مفتوح العينين.. تحدق ناحيتي..في إصرار..يدق قلبي بسعادة طاغية..ولا أتمالك نفسي.. ألقي بجسدي على صدرك

fb/mashro3pdf

وأبكي..أبكي بحرقة.. أخيرًا..أخيرًا..عدت.. لقد أوحشتني لدرجة لا يمكن أن تتصورها.. أوحشتني جدًا..ولن أسمح لك ثانية بالغربة..أبدًا..هل تفهم؟..أبدًا..أبدًا..مهما حاولت..ومهما توسلت..

ولكنك لا تتحرك.. لا تمد يديك لتربت شعري كالعادة.. لا تصرخ وتهلل وتشتمني.. كنت ساكنًا تمامًا..ما هذا الأدب؟ أقوم من فوقك.. وأحدق فيك من جديد..لحظة أو لحظتين.. أحدق في رعب..في ذهول.. وقد بدأت أشك في شيء.. شيء حقير.. يتسلل إلى نفسي فيدميها..شيء قاتل يلف أذرعه حول عنقي..ويضغط في قوة.. هل يمكن أن....؟

وأدركت فجأة كل شيء...

يحرقني الوعي المباغت بحقيقتك..فأخرس في ذهول.. ولا أرفع عينيّ من عليك.. كأني لأول مرة أراك.. أتسند على الحائط بذراع واهنة.. أضع يدي على قلبي..لأمنعه من القفز من صدري..أسمع هذه الموسيقي الغامضة..وأشم الرائحة العطرية ثانية.. لا شك تنبعث منك..فأبكي..وأنظر إليك من خلال الدموع...

ولكن الذي يبدو في عينيكَ الآن مختلف..

نفس النظرة.. لا أنكر ذلك...نفس اتساع العينين في اندهاش.. ونفس البسمة المختبئة بين الجفون.. ولكن..

fb/mashro3pdf

صدقني.. الذي في عينيكَ الآن مختلف.. يبدو طازجًا جدًا..ودائمًا جدًا..ويبدو أنه إليك ينتمي بشدة.

ويبدو أنكَ أخيرًا قد وجدتَ الذي يريحكَ.. والذي لكَ يبقي ويدوم..

أهمس..من كل قلبي.. وأنا أغوص في عينيكَ أكثر: "صباحك سكر".

---

* فازت هذه القصة في مسابقة (ساقية عبد المنعم الصاوي للقصة القصيرة)

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أم أنك لا تدري؟

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أنت تدري حتمًا لماذا أستيقظ دائمًا في هذا الوقت المتأخر من الليل.. وأُخرج صورتك المخبّأة تحت وسادتي من زمن.. وأجلس رغم الظلام والبرد.. أتلمس ملامح وجهك الباسمة.. أتنهد..وأرسل بصري عبر المجهول.. وأسرح..

أنت تدري حتمًا.. لماذا تتسحّب حبات الدمع فجأة -في هذه اللحظات- وتغافل عيني.. وتغرق وجهك وشعرك وابتسامتك..

أنت تدري حتمًا سر الأنين المكتوم الذي يسمعونه كل يوم.. ويحتارون في تحديد مصدره..الأنين الذي يشق القلب..ويفتت ذرات الروح..

أنت تدري حتمًا.. وجع البعاد.. ومرارة الوحدة.. وشوق العين للعين..واليد لليد..والروح للروح..

أنت تدري حتمًا..أم أنك لا تدري؟

في كل يوم.. أتلفع بوحدتي وصمتي..ألجأ لخطاباتك وصورك..اليد الوحيدة التي بقيت لي..لأتشبث بها.. ولا همَّ لي

fb/mashro3pdf

إلا أن أطرح عليك الأسئلة..وأغوص بلا كلل مع علامات الاستفهام الوحشية.. ذوات الأنياب والمخالب... مع أنه لم يحدث أبدًا ولا مرة واحدة أن تلقيت إجابة!

متى تعود؟ ومتى نطوي صحف البعاد والغربة؟

متى تجف الدموع؟ ومتى تنبت الابتسامات على أغصان الروح؟

متى يبدأ ربيعي.. وترفع زهوري رأسها للشمس؟

متى تتعلم عصفورتي تأليف أول تغريدة؟ ومتى تستطيع أجنحة حمامتي البيضاء أن تواجه الريح وتتقدم برغمها؟

هل ستعود حقًا ذات يوم وتلملم ما بقي مني؟ وهل ما بقي مني يكفيك بالفعل؟

هل تعرف هذا الشعور المُرّ بالوحدة.. عندما تصمت الدنيا من حولك بغتة.. وتشعر أنك الوحيد الباقي على قيد الحياة الآن.. لا حس لحيوان أو طائر أو إنسان.. فقط أنت.. أنت وحدك..فتشعر بالخوف.. تشعر بالرهبة..وتمد أذنيك..تُنصت جاهدًا.. علّك تلتقط أي إشارة على وجود حياة من أي نوع.. صوت أزيز حشرة..حفيف ورقة على غصن..أي شيء.. أي شيء على الإطلاق.. ولكنك.. تفشل...!

عندما لا تدري أين أنت.. ولا كم الوقت..ولا ماذا يجري في الدنيا..

fb/mashro3pdf

عندما يصبح لدقة القلب الهامسة دويٌّ كضربات الطبـــول الإفريقية.. ولصوت النفس -وهو يدخل ويخرج في عُسر- أزيز عات..!!

عندما تكتشف أن الذي مضى لن يعود بالفعل.. والذي هو آت لا يختلف كثيرًا عما فات.. نفس الظلم والحزن والضياع.. وأن كل الأحلام قد آوت لمضاجعها.. ولم يعـــد ثمـــة شـــيء لتقتات به!

عندما تنتبه فجأة كم أنك مظلوم فعلاً.. من كـــل الـــذين عرفتهم في حياتك..وأنه لا سبيل أبدًا لرد هذا الظلم.. مهمـــا حاولتَ..وأنك تضيّع وقتك فقط في انتظار ما لن يأتي أبدًا..

عندما تبكي كالمجنون.. وتمد يديك في يأس، محاولاً الدفاع عن نفسك ضد أعداء مجهولين طاردوك طوال حياتك.. أنـــت متأكد أنهم متربصون بك في هذه اللحظة بالـــذات.. للقـــضاء عليك بلا مراوغة ولا أقنعة هذه المرة.. تمرّغ رأســـك علـــى السرير في كل الاتجاهات بلا هدف..تحاول كتم دموعك..أو أنفاسك.. لا فارق.. ثم تهمد حركتـــك رويـــدًا.. ويتوقـــف نشيجك..من تلقاء نفسه..فلم يعد له داع أو معني.. ولا تلبث أن تبحلق في السقف..وتظهر على شفتيك ابتسامة مستـــسلمة حزينة.. أنت تدرك تمامًا أنها لن تغادرك أبدًا بعد اليوم..

هل جربت كل هذا من قبل؟ هل أحســـسته؟ فلمـــاذا لا تعود؟ وماذا تنتظر؟

fb/mashro3pdf

العمر يرحل ولا يعود.. والقلب يشيخ يومًا بعد يوم.. وجرح الروح يتسع..ويتسع..هل أخبرك بسر.. أمس جاءني عريس آخر.. من هذا النوع الذي لا يُرفض.. ولهذا رفضته.. لأنه لا يرفض.. هل رأيت كم أني حمقاء.. أهلي لم يفهموا السبب.. لكننا -أنا وأنت- نفهم طبعًا.. أو أنا على الأقل أفهم..لأن ما بيننا.. أقوى من المسافات..أقوى من الأهل والتقاليد والمجتمع.. أقوى مني ومنك.. أقوى من الحياة والموت..وأبعد غورًا في النفس من كل الإغراءات والمتع.. ما بيننا يمتّ بصلة القربى لسر الحياة نفسه.. ما بيننا هو الحب..

معظم صديقاتي تزوجن..وقلن لي مرارًا أن أنساك.. وأبدأ من جديد.. وقلن لي أيضًا.. إن الأضواء والزغاريد وفستان الفرح.. سوف تنسيني ألف حب كحبك..وإن كل الرجال سواء.. وكنت أضحك إذ أسمع مثل هذا الكلام..وأمنحهم ابتسامة مشفقة من طرف شفتي..

وأعلم أنك ستأتي ذات يوم..وتكشف عني الحُجُب..وتنتزعني من عالمهم.. سوف أتجهّز لك.. وأكون في انتظارك..الفستان الأبيض مكشوف الذراعين الذي تحبه..وتسريحة الشعر التي تفضلها..سوف أسمع خفقات حذائك على تراب شارعنا القديم..وأرتجف..وأسمع دقات أناملك الرقيقة على بابي.. وعلى جدران قلبي..وأفرح..سوف أسمع زفرات أنفاسك المشتاقة.. ودقات قلبك المتوترة..وأنت على الطرف الآخر من الباب..لا يفصل بيننا إلا جدار...

fb/mashro3pdf

شَعْري صار أطول.. وابتسامتي صارت أحلى.. عيوني صارت أجمل..ولوني مازال حليبيًا.. ومازال جانب فمي الأيسر يتقلّص عندما أغضب.. والندبة الصغيرة التي كانت في جانب قدمي اليسرى لم يعد لها أثر واضح كالسابق.. وتعودت أن أشرب اللبن الآن بسبب إلحاح أمي المتواصل.. وتعلّمت الشطرنج الذي تجيده لأهزمك فيه هذه المرة..كل شيء معد كما ترى لاستقبالك.. فمتى تعود؟ متى؟

أنتظرك.. وسوف أظل أنتظرك.. مهما تكن الأيام قد قالت كلمتها.. مهما تكن قد استسلَمتَ لها وخذلتَني.. مهما يأخذني العمر ويدحرجني في طرقاته.. أنت لي.. وأنا لك.. والآخرون هواء..

سأنتظرك.. حتى وأنا أعلم أن لقاءنا مستحيل.. وأن التراب الذي أهالوه عليك.. والقبر الذي يضم رفاتك لن يسمحا لك.. ولو بعشر دقائق.. لكي تقول لي "أحبك"..سأنتظرك.. لا تقلق لا تقلق أبدًا..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الغريــب

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

خطفتني سفينة الفضاء.. وانطلقت..

يرتج جسدي ويتخضخض آلاف المرات..يتفتّت ويتجمّع.. في ظلام أهبط وأُولد.. في ظلام أحيا وأندفع..رأسي لم يعد على كتفي..أطرافي تتقلص وتنكمش..شعري يبيّض في فزع..شَعرة.. شَعرة..وقلبي ينتقل بمنتهى الحرية عبر جسدي..حتى يصل لفمي فجأة.. فأتقيؤه..أصرخ وأجن.. أنادي وأتوسل..تبدو نقاط بيضاء صغيرة على المدى.. تندفع نحوي.. أو أندفع نحوها.. لا أدري..أقتحمها..وتقتحمني.. تولد خيوط من النور.. تحاوطني.. وتسربل كل شيء..أستريح فجأة.. يهمد الجسد..تستطيل الأطراف.. تعود الرأس.. ويبدو القلب على استعداد للدق من جديد..

أفتح عيني لأول مرة بصعوبة..بكامل الرؤية المتحفزة القلقة.. وبنصف الوعي المنهك.. أراهم..لأول مرة..أراهم.. العيون المتسعة المشقوقة طوليًا.. الرأس الضخم المستريح على

fb/mashro3pdf

كتف ضئيل..الأطراف القصيرة التي تبدو هامدة وغير ذات نفع.. والأصوات الهامسة التي تبدو للوهلة الأولى بلا معنى..

يذبحني الفزع.. ويخرس لساني.. فلا أقوى حتى على الصراخ..أحدّق فيهم في ذهول.. فقط أحدق..

أيها الغريب.. أيها الغريب..!

الحروف تلتئم لتعطي معنى ما.. بشكل مراوغ.. تتحسس الطريق إلى جهازي السمعي..وأستطيع أن أفهم..أو ربما لا أستطيع..

أيها الغريب.. أيها الغريب..!

أمد يدي في وهن..لأتحسس جسدي.. فقط لأكتشف.. أني مسجى على ما يشبه المنضدة.. ملساء وباردة..ضيقة.. تحتويني بالكاد..طويلة.. حيثُ ينقطع بي البصر.. وحول معصمي بعض القيود..

أضواء فاضحة تغمرني من أعلى فجأة..أصرخ وأغلق عينيّ في ألم..وأنا ألوّح بيدي في شكل نصف دائرة..

أيها الغريب.. أيها الغريب..!

لا شك أني أفهم هذا الصوت.. أحسّه يتردد داخل جدران مخي.. أعاود.. بحذر.. فتح عيني.. ولأول مرة.. أفتح الفم المرتعد..أين أنا؟؟..وما أكاد أنطق.. حتى يُرعبني صوتي.. فأخرس تمامًا..وخوفٌ وحشي.. بكرٌ ومُزلزل.. دامس

fb/mashro3pdf

وجارح.. صارخ وبدائي جدًا..يبدو فجأة أمام عيني..ينهشني.. ويغرس إبره الساخنة في أعصاب أعصابي..بلا تعقل ولا رويّة.. أين أنا؟؟..يرتفع الصوت.. ويشتبك في حوار غاضب وحزين.. عال جدًا ومتمرد.. مع خيوط الضوء الوقحة.. والوجوه المحدّقة في فهم مجنون.. وخفقان قلب عاد يدمدم في هستيريا..

(.. مزقت بطاقتي الشخصية بعد أن تأملت صوري المبتسمة في سذاجة.. وجواز السفر الذي أعددته ذات يوم ليخرجني من سَمّ الخياط.. فلم يفعل إلا أن كلفني ٦٥ جنيهًا..)

أين أنا؟؟.. بإصرار وأمل..بجشع.. أكرر السؤال..أكرره.. حتى أملّ.. حتى أتعب.. ولا أحد من الذين تحلقوا حولي يفتح فمه بكلمة..

(قلت لأمي.. الجنة تحت أقدام أمهات الماضي.. ليس المقصود أبدًا أمهات هذا العصر!)

أين أنا؟؟ يتحول السؤال إلى أسطورة.. إلى قمر بعيد بلا صاروخ يصل إليه..إلى كوكب مهجور بلا بشر يكتشفونه.. إلى حلم لم يحلم به أحد قط..

(قلت لصديقي: رحلت حبيبتي.. مثلما جاءت.. على غير انتظار.. دون أن أفهم لماذا جاءت.. ولا لماذا رحلت..فابتسم في إشفاق..وربت كتفي في حنو..دون أن يلاحظ أني لمحت صورتها الملائكية في جيب قميصه الأنيق..)

fb/mashro3pdf

أين أنا؟!..أبدأ وأنتهي..أرحل وأعود..أين أنـا؟!..أصـل وأضل..أكون ولا أكون.. أيـن أنـا؟!..أتوقـف لحظـة.. ألهث..ألهث..ولكن لماذا أريد أن أعرف؟ وهل يمثل ذلـك أي أهمية الآن؟..أُطـرق برأسـي..والصمت قد زحـف فجـأة ليغمد سيفه في قلب المكان..وفي قلبي.. الصمت.. الصمت..

أيها الغريب.. أيها الغريب..!

يتقدم مني أحدهم في رويّة.. أمامه العمـر كلـه ليـصل إليّ..ويصل.. يمد يده غريبة الـشكل نحـوي..أبحلـق فيـه بشدة..أرتجـف.. أحـاول الـتملص مـن قيـودي بـلا جدوى..تنحرف يده.. لتضغط زرًا في المنضدة.. فأتحرر..أنظر نحوه في حذر..ثم أستوي جالسًا في مكاني.. وأنا لا أصدّق ما يحدث..يقول بلا أدنى صوت.. بذلك الحوار العقلي الخالص:

(لماذا ناديتنا؟!)

أصرخ كالمجنون.. بلا تعقل.. بلا روية..: "أنا..؟ وكيـف ناديتكم؟ ومن أنتم؟ وأين أنا؟ وما الذي يجري؟"..

يوقفني بإشارة حاسمة من يده.. يعود الصوت:

(لماذا ناديتنا أيها الغريب؟!)

لا أنطق بحرف.. فقط أنظر إليه.. وفي قلـبي رهبـة..وفي أعصابي خدر.. يردد الصوت:

(..من يناديـنا.. نناده..ومن يأتِ إلينا.. لا يعود..)

fb/mashro3pdf

لم أعد أحتمل كل هذا الغموض.. أثور عليه فجأة..وعلى نفسي.. وعلى الدنيا:.."لا أفهم.. لا أفهم.. من أنتم؟..ومن أنا؟..وماذا يحدث؟؟ أخبروني قبل أن أجن.. أخبروني..."

ولا جواب بالطبع..أمارس مزيدًا من التحديق.. أكرر أسئلتي..أخبط بيدي على المنضدة.. ولا أحد يرد..يزداد هياجي..أهم بالهجوم عليه وتوجيه لكمة عاتية إلى وجهه..فأحس بكل جسدي يطير بغتة في الهواء..يرتطم بالمنضدة في عنف..ويتكوم منهكًا بجوارها.. ألهث..وأئن..وقد بدأ خيط رفيع من الدم يسيل من جانب فمي الأيسر.. أرفع إليه بصري في وهن..يعود الصوت الذي بتّ أمقته:

(.. لماذا ناديتنا أيها الغريب؟!)

قررت أن أكذب.."لأنكم أفضل من في الكون".

هل ضحكوا جميعًا في وقت واحد.. أم كان زلزالًا كسحني من مكاني وألقي بي في آخر القاعة المتسعة؟!.. كان الصوت الذي يشبه القهقهة مستمرًا.. وأنا أطير من جديد.. وأستقر على المنضدة ثانية..وسط قيودي التي أصبحت أكثر متانة.

يحمل النور عصاه ويرحل بغتة كما جاء بغتة.. لم أكن محظوظًا ساعة أضاء.. ولم أكن محظوظًا ساعة انطفأ.. ورغم الظلام.. كنت أراهم ينسحبون الواحد وراء الآخر.. ويغادرون المكان..بلا ضجة تذكر..أنادي عليهم في ضعف..في أمل.. لم يعد لي إلا هم.. ولكن لا يبدو أنهم يولونني أي اهتمام.. أسمع

fb/mashro3pdf

صوت أبواب تنغلق.. وأقفال توضع.. لقد تركوني وحدي..أصرخ..ثم أصمت.. ثم أصرخ.. ثم أصمت.. لا أفهم.. لا أفهم.. أتنهد..أحاول تمزيق القيود.. لا أقدر..تخونني الدموع.. وتشق طريقًا يابسًا على وجنتيّ.. فأستسلم.. تحين مني التفاتة عابرة للأعلى.. أحدق في سقف المكان.. فأجده شفافًا.. ومن ورائه.. تبدو النجوم البعيدة اللامعة في الكون الوسيع..وكأنها ترنو إليّ هي الأخرى..بلا كلل.. تسبح في أبدية ولانهائية.. في استسلام وهدوء..

.....

كنت أنتظرهم كل يوم..ولكن لم يعد أحد يأتي ليزورني منهم، ولا يبدو أن أحدًا سوف يفعل.. لم أعد أسمع صوتًا أو نفَسًا.. لم أعد ألتقط ما يشبه القهقهة.. ولم يعد يصلني أي حوار عقلي..ولكني برغم ذلك..أحسهم في كل مكان حولي..وأعلم علم اليقين.. أنهم يراقبونني عن كثب.. يعدّون الأنفاس والتنهدات.. يعدّون الأحلام والظنون..ولا يغفلون لحظة عني.. لم أعد أشعر لا بالجوع ولا بالعطش..لا بالراحة ولا بالتعب..لا بالخوف ولا بالأمان..لا بالحب ولا بالكُره.. لم أعد أحلم يومًا بالفرار.. فقط أرنو إلى النجوم البعيدة..البعيدة جدًا.. وأطيل النظر..وأنا أعرف أنها ليست نجومًا حقيقية وإنما هي الضوء الوحيد الباقي من نجوم ماتت واندثرت من زمن..زمن طويل جدًا.. جدًا..

fb/mashro3pdf

أحلام محرّمة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

قبل أن تخبرني.. أحسستُ!

الليلة فرحها!

ومع ذلك..رفعتُ سماعة الهاتف اللحوح، وسمحتُ لصوتها بالتسلل عبر المسافات، لأسمعها بكل وضوح!

لأمتصها بمسام روحي..

الليلة فرحها!

لكي أغلق في وجهي كل الأبواب الممكنة للأمل..

ولكي أُسجّل هذا التاريخ المجيد في دفتر العمر باللون الأحمر القاني..

وأتخذه بداية التقويم لكل أحداث حياتي!

الليلة فرحها....و.....

..... مأتمي!

fb/mashro3pdf

(٢)

لم أهتم يومًا بالسياسة.. ولم أنظر لأبعد من خطوتي التالية، ولكن عندما رأيتهم يُعدمون "صدام حسين" يوم العيد، ويبثون صورته -في زهو!- عبر شاشات التلفاز، لم أستطع مقاومة الدمعة التي أصرت على الهروب من عيني، ولم أستطع إلا أن أرفع صوتي مع الرافعين، وأنادي بسقوط الطغيان!

اندفعتُ مع الذين اندفعوا، وتدفقوا عبر الشوارع، بعد الصلاة، بلا تخطيط ولا هدف، فحاصرونا، ورفعوا في وجوهنا مدافعهم -هديّة العيد!- ومنعونا من الحركة والكلام، واندفعوا يفتشوننا، ولما صعبت عليَّ نفسي ورفضتُ، وجدت وجه البندقية "الميري" في وجهي، والألم الحارق يسلخ روحي، ويشارك قطرات الدم التي لوثت جلبابي الأبيض في التصاعد، وأنا أهوي تحت أقدامهم، فيمد أحدهم يده، ويخرج قلبي على طرف "السونكي" ثم يهزهزه في قوة..فتتساقط منه الصور والأحلام والوجوه والذكريات والروائح والطعوم، وتتبعثر من حولي، إلا وجهًا واحدًا، ظل متكمشًا بقلبي، يقلبونه ويخبطون به الحائط، فيتشبث أكثر، يحاولون اقتطاعه بالسكين، فينمو من جديد، يلقونه على الأرض ويدوسون فوقه بأحذيتهم الثقيلة، فينكمش...ثم يصحو ويكبر ويعيش..!

fb/mashro3pdf

يلقون "الكيروسين" على قلبي.. ويشعلون النيران..

كان الوجه يلملم حاجياته بسرعة.. وقبل أن يركب الطائرة، رفع الموبايل، واتصل بي ليخبرني:

..... الليلة فرحها!

(٣)

كل حبات المطر التي نزلت من السماء على رؤوسنا، شجعتني أكثر، على أن أحتضن أطراف أصابعك، وألف وأدور بك في كل الأماكن التي أحببتُها، كنت أريدك أن تعلمي أني لست وحدي، ثروتي حفنة من الذكريات..

كيف أقولها لكِ؟

كيف أزيح الستار عن أجمل ما أملك من أجلك؟

في لحظة أهم بها، وفي لحظة يسحبني التردد من يدي ويلقي بي أمام قطار الخوف...فيدهسني!

مرة واحدة اختطفتُ لحظة شجاعة.. وقطفتُ ثمرة يقين.. وألقيت بين يديك بحملي:

" أحبك...."

fb/mashro3pdf

(٤)

اعترضتِ كثيرًا على فكرة السفر.. لكن عندما رأيتِ جواز السفر بين يدي.. بدأتِ تستسلمين.. وتدركين أنه طريق لابد من السير فيه..

كنتُ فرحًا -رغم كل شيء- وأنا أخبرك أن أختي في "الكويت" لن تلبث أن تبعث لي بالإقامة.. وتكون تلك إشارة البدء..

لقد وعَدَتني..

احترق شهر من عمرنا.. أتبعه آخر... وآخر...

أتيتُ بالخريطة لأرى موقع "الكويت".. هل هي بعيدة لهذا الدرجة.. فيتأخر بريدها أكثر؟

أرفع الموبايل..وأطلب أختي.. لأجد اللهجة تتغير.. مشاكل.. ظروف.. صبر... نصيب!

أقف في "صيدلية" صباحًا وفي "سوبر ماركت" مساء.. أعد القروش القليلة، وأدخل بها "جمعية" مع صديقات أمي!

يسألني زملائي.. وصاحب الصيدلية والسوبر ماركت.. "متى تنوي؟"

أبتسم..

fb/mashro3pdf

يمضي عام.. وعام..

أكتب إلى أختي وأقول: "تعبت"..

أجد سطرًا جديدًا يضاف إلى الرسالة من تلقاء نفسه يقول: "الظروف..!"

أتوقف عن الكتابة..

أمسح الرسالة وأغلق الموبايل..

أذهب "للصيدلية" صباحًا و"للسوبر ماركت" مساء وأواظب على أقساط الجمعية..!

.....

أمي ترسل في طلبي لأذهب إليها، أخيرا رسالة من أختي على الموبايل الذي نسيته اليوم لأول مرة في البيت..

أهرول، أصطدم برجل كبير في السن، يكاد يسقط، أسنده وأعتذر له، يلوح البيت، تستقبلني أمي على السلم، أفرح، أختطف الهاتف من يدها في لهفة..

أهمس: "أخيرًا"!!

أفتح الرسالة في تعجل..واقرأ "سأعود بعد يومين.. لقد تركتُ العمل.. أختك".

fb/mashro3pdf

(٥)

الألفا جنيه التي ادخرتها.. دخلت بهما في مشروع صغير مع صديقي..

اشترى حمامًا، وصنع "براجة" وأعد كل شيء..

الأقدام الثقيلة على سطح البيت.. أيقظتني فجرًا..

عساكر وضباط يحملون بنادق ومعاول..

أصوات هديل مشروخ.. وطقطقة خشب يتهاوى.. وصراخ..

وكلمات كبيرة..

الوطن.. إنفلونزا الطيور.. الأمن القومي..

..... صوت يرن في فضاء متسع:

الليلة فرحها!

fb/mashro3pdf

(٦)

أذهب "للصيدلية" صباحًا و"للسوبر ماركت" مساء وأواظب على أقساط الجمعية..!

حذائي فتح فمه..

وبنطلوني يحتاج لبعض الغرز لمداراة هذا الثقب الذي يتسع..

سوف أقترض من صاحب الصيدلية بعض المال... وأسدده عندما أقبض الجمعية..

لابد من شراء حذاء جديد وبنطلون...

....فالليلة..فرحها!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

معـاتبة

fb/mashro3pdf

القطة.. صغيرة جدًا ووحيدة جدًا.. تكمّشت إلى جانب جدار متهالك.. تود الاختباء بين أحجاره الصلبة..تبدو جائعة جدًا.. وتبدو خائفة جدًا.. ويبدو أنها لا تعرف أنها جائعة أو خائفة.. صوت مواء رفيع متقطع.. لا تصدق أبدًا أنه يصدر عنها..كيف يستطيع هذا الجسد المتهالك أن يقوم بأي شيء؟ فراء مشعث.. أطراف قصيرة عاجزة.. وعينان.. ربما عمياوان كذلك..بقوة لم أعتدها..أهم بالسير نحوها كالمنوم.. حبيبتي التي لم تلاحظ شيئًا.. تشدني من كم البذلة في قوة..فأنتفض وأفيق..أعود إليها بصحبة ابتسامة محايدة.. فتقول بطفولة:

ـــ "تعبت من المشي؟"

أهز رأسي بلا معنى.. وأبتسم.. الشارع مزدحم وخانق.. أصوات عالية مضطربة.. بشر ساعون في إصرار وعناد.. وسيارات تبدو دائمًا في عجلة من أمرها..تشير بيدها بعيدًا:

ـــ "هانت.. هنوصل الكازينو حالاً..."

أرمق القطة بآخر نظرة أملكها.. خمشات بأظافر كليلة.. حركات واهنة عشوائية.. وارتجافة.. يتخللها نفس المواء المنطفئ المتخاذل..

fb/mashro3pdf

أنزع بصري من عليها..وأهم بإخبـــار حبيـــبتي.. فتجـــدّ السير..وتهمس:

ـــ " يلا بقى.. أنا جعت.."

فأسير ولا أخبرها.. الكـــازينو كـــبير وفخـــم.. أضـــواء وموسيقي وأحلام وراقصون وغناء صاخب لا ينقطع.. أجلس على الكرســـــــي الذي قادنا إليه الجرسون.. فيـــتلعني في شراهة.. تقول حبيبتي:

ـــ " يلا نرقص.."

تشدني من يدي..فأنهض..وأنخرط بين الجموع.. حبيـــبتي تبدو سعيدة جدًا.. وأنا أحاول أن أجاريها..الإيقـــاع يرتفـــع ويدمدم..والراقصون يسبحون فيه..ولكن الموســـيقى تتوقـــف فجأة..تهتز إضاءة المكان كذلك.. ويبدو على الناس الارتبـــاك للحظة.. وهم يُرهفون أسماعهم.. يتعالى صوت مـــواء رفيـــع متقطع..يبدو آتيًا من كل مكان.. أتوقـــف عـــن الـــرقص في دهشة.. وأُرهف السمع مثلهم..يعود المواء ويستمر..ألمح القطة الصغيرة.. تتسنّد على أرجلها في عناء.. وتدخل بين النـــاس.. الجميع يحدقون فيها بخوف ويبتعدون عن طريقها.. كانت آتية نحوي مباشرة..وهي ترمقني بنظرة عاتبة..أتسمّر..أبتلع ريقـــي

fb/mashro3pdf

في صعوبة ولا أستطيع رفع عيني عنها.. تهزني حبيبتي بقلق.. وتهمس:

ـ "مالك.. فيه إيه؟"

أنتفض لحظة.. أحدّق فيها بعينين لا تريان.. أعاود النظر.. فأفيق.. أرمق المكان من حولي.. الكل سادر في رقصه وغنائه والموسيقى لا تزال تعزف.. أهمس:

ـ "مفيش.. يمكن تعبان شوية.."

تقول حبيبتي برقة:

ـ "أكيد تعبت من المشي.."

أهز رأسي بالنفي في إصرار.. وأقرر أن أخبرها عن القطة.. يظهر الجرسون أمامنا فجأة ويقدم لنا القائمة.. أصمت.. أغرس عينيّ في قائمتي.. لا أستطيع أن أقرأ شيئًا.. القطة الصغيرة تتمسح في قدمي بغتة.. فأنتفض.. وأبعد قدمي بحركة عصبية وأنا أنهض وأحدق تحت المائدة.. لا شيء.. تنهض حبيبتي وهي ترمقني بدهشة وتقول:

ـ " فيه إيه.. إنت مالك النهارده بالظبط؟"

أصمت.. وأحدق في الأرض.. وأنا أعاود الجلوس وسط نظرات فضولية كثيرة بدأت تراقبني.. تجلس حبيبتي وهي ما تزال ترمقني في عجب.. ألمس يدها في رفق.. أهمس:

fb/mashro3pdf

ـــ "هقول لك.. أصل النهارده..وإحنا ماشيين.."

ثانية يظهر الجرسون ويرمي إلينا نظرات متملقة..

ـــ "أوامر حضراتكم؟"

أترك يد حبيبتي..أرمقه بلا معنى..وأعاود النظر في قائمتي، أقول للجرسون فجأة:

ـــ "عايز سمك.."

تتعجب حبيبتي وهي تقول:

ـــ " لكن إنت ما بتاكلش السمك.."

أهز كتفي بلا معنى وأُصر على طلبي.. فتطلب حبيبتي مثلي.. يبتسم الجرسون.... يرمقنا في خبث.. ويسرع بالابتعاد، أنظر لحبيبتي وعيونها الجميلة القلقة.. أحرّك لساني داخل فمي.. وأنا أقترب برأسي من رأسها.. سوف أخبرها أخيرًا.. يشق صمتنا فجأة صوت مواء رفيع متقطع.. يأتي من جواري.. أتحفّز.. أنهض بحدة وأحدق في المائدة المجاورة بلهفة.. الرجل الأنيق والسيدة الأنيقة الجالسين عليها.. يلقيان إليَّ نظرة مستفهمة ومستاءة.. أتلعثم.. أفرك يدي في عصبية..ألتفت بعيني بعيدًا وأنا أهزّ رأسي علامة اعتذار.. حبيبتي تنهض من مكانها وهي ترمقني في إصرار وغضب:

fb/mashro3pdf

ـــ "أنا مش فاهمة حاجة.. إيه اللي بيحصل بالظبط؟"

أشدّها من يدها لتعاود الجلوس:

ـــ "أصل.. أنا.."

يظهر الجرسون إلى جواري بنفس طريقته المباغتة المعتادة.. ويقدّم لنا الطعام.. تبدأ حبيبتي الأكل في صمت.. وهي لا ترفع عينيها إلى عيني أبدًا.. أنظر إلى السمك بحنين عجيب.. أمد يدي.. أمسك قطعة صغيرة منه.. أنظفها بعناية وحذر.. تقفز القطة على مائدتنا فجأة.. من حيثُ لا أدري.. فتقلب الأطباق وأكواب الماء على ملابسي.. وتخطف قطعة السمك من يدي..أتحرك بعصبية.. فينقلب الكرسي بي.. وأسقط على ظهري.. وسط دهشة كل رواد المكان.. أنهض في سرعة وخجل..وأنا أنظّف ما انسكب على ملابسي.. وأفتش بعيني في استماتة عن القطة الصغيرة.. ولا أهتدي.. أخرج من جيبي بعض النقود.. أضعها على المائدة.. وأشد حبيبتي المذهولة من يدها وأغادر المكان.. وهي لا تكاد تنطق.. أشعر بالهواء البارد المنعش يدخلني ويحملني على راحتيه لبعيد.. أتنفّس في عمق.. أقول لحبيبتي:

ـــ "الحكاية يا ستي.."

fb/mashro3pdf

ولكن عيني تصطدمان بعينيه.. وقد برز أمامي فجأة من العدم.. الولد.. صغير جدًا.. ووحيد جدًا.. تكمّش إلى جوار سيارة فخمة.. يود الاختباء في هيكلها..جسده ناحل وثوبه متهرئ.. يبدو جائعًا جدًا.. ويبدو خائفًا جدًا.. ويبدو أنه لا يعرف أنه جائع أو خائف..أتسمر في مكاني لحظة..أرمقه ويرمقني.. ثم أسير إليه وأنا لا أحوّل عيني عن عينيه.. أدس يدي في جيبي.. فينتفض ويداري وجهه بيديه..أخرجها مليئة بالنقود..يُنزل يده قليلاً.. وهو ينظر إليّ في رعب..يبدأ في التراجع بظهره..ويبدو على وشك الفرار.. أربّت كتفه النحيل.. وأمد يدي إليه بالنقود.. يبدو أنه لا يفهم.. أقول له في رقة:

ـــ "خدها.. دي ليك..هات بيها أي حاجة.."

يعاود النظر لحظة بعينين متسعتين.. حساستين..حذرتين.. ثم يبدو أنه رويدًا.. بدأ يفهم.. يمد يده في خوف وأمل.. ثم يقبض على النقود..يعتصرها بين أصابعه في قوة كأنها ستفر.. ويظل يرمقني بنظرته الخرساء..فأمنحه ابتسامة صافية أخرى وألتقط يد حبيبتي المندهشة.. وأواصل السير..كنت أراها جميلة جدًا.. وطيبة جدًا.. وكان لساني يتحرك في انطلاق.. والولد الصغير المسكين..يهرول بكل ما يستطيع من قوة.. ويختفي في الشارع الطويل البعيد..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عندما دقّ الهاتف اليوم.. دقّ قلبي بإحساس مجهول.. أمد يدي إليه.. لم أكن أتوقع خيرًا.. ولكن.. خاب ظني.. أرفع السماعة.. فيجيئني صوتُكِ.. نعم.. صُوتكِ أنت بالذات..وهل خير أروع من ذلك؟.. لم أنسه لحظة واحدة.. لم يفارق خيالي.. لم أنس طريقتك اللطيفة في تركيب الحروف.. لم أنس موسيقي ضحكك الصافية.. لم أنس حتى لحظات صمتك الملآنة بالمعاني.. ولكن.. كيف عرفتِ بوجودي ها هنا.. بعد كل هذه السنوات؟...ولماذا تطلبينني الآن؟..هل لازال حبي في قلبك..رغم كل شيء؟..أنخلع من كل ما حولي..أترك العملاء والدوسيهات وعالمي ثقيل الظل.. كنت أعود بقوة لنفسي..وأغرق في بحرك...من أول "آلو":

ـــ "الشركة الهندسية للمباني؟"

fb/mashro3pdf

ـــ "نعم...نعم.. يا...يا ...وأنا...أنا..."

ـــ يقاطعني الصوت برقّة..أنا مدام "أحمد صفوت".

وتتدافع الحروف في قوة:

ـــ "كنت أريد تأكيد موعد استلام شقتنا الجديدة"

- "أنـــت مـــاذا؟..أقـــصد...نعـــم...نعـــم يا...فندم...لحظة...لحظة من فضلك..."

أحدّق في السماعة..بعينين لا تريان.. وقلب واجف مهتز.. أحرّك رأسي لأفيق.. أبتلـع بقايـا ريقـي الجاف..بقـدرة خرافية..أفتش عن الكومبيوتر، أفاجأ بـه أمامـي علـى المكتب.. أجفل..أثبّت نظري عليه لحظـات.. أمـد يـدين مرتعشتين.. أضرب الاسم على الأزرار..وأشاهـد بعـينيّ اسمك..واسم زوجك على الشاشة.. أمد يدين واهنتين..أمسح عن جبيني حبـات العرق.. في بطء..يجمد بصري..فلا أعـود أري شيئًا..فقط..بعـض الخيالات البعيدة لشـاب وفتاة.. في سكـرات الشباب.. يتعاهدان على الحب..وينظـران لغـد بعزم..سنون مـن الـسذاجة والأمنيـات..ثم منظـر دبلـة ذهبية..يلتمع في إصبع اليد اليسرى..وضحكـة ساخـرة وفلاش تصوير.. وبعض الزغاريد والدموع..وبعض الكلمـات التي تقتل ولا تُسيل دمًا.."الحـب ببلاش..لكن الجواز بفلوس"

fb/mashro3pdf

تتموج الصورة..ثم تثبت على منظر عام لليل.. ببرده..ووحشته..وأعقاب سجائر مدهوسة.. وبعض الكتب وشرائط الكاسيت ذات الأغاني الحزينة..والتجوال بلا هدف..في كل الأماكن القريبة جدًا من النفس.. والذكريات المليئة لآخرها بالهزائم والانكسارات.. ثم التمسك بأهداب أي وظيفة..والقطارات المستعدة دومًا للرحيل.. ثم لا شيء..لا شيء على الإطلاق!!

تختفي الصورة..وتعود.. وتختفي.. وتعود..ويتصاعد صوتك فجأة "آلو..آلو"..ينتزعني من جمودي..أُمسك الهاتف ببطء.. ثقيلة جدًا هذه السماعة! أعود من الدنيا البعيدة التي ولّت.. ويعود الصوت.. "آلو.. آلو"..أبتلع ريقي.. أضع يدي على قلبي..لأُخفي شدة خفقانه..بجهاد القديسين أُجيب:

ـــ " نعم ...نعم...يا..فندم...الأربعاء..الأربعاء القادم..العاشرة.. صباحًا..."

ـــ " شكرا "

ـــ "عفوًا..يا...فندم.."

تغلقين الهاتف.. ثانية تضيعين.. بينما أظل أرمق السماعة.. بحنين عارم..أتحسسها بأصابع معروقة..وأُحس فجأة أنني أريد أن أحتضنها..أحتضنها في قوة..وأندفع في بكاء لا ينتهي..لا ينتهي.. أبدًا..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

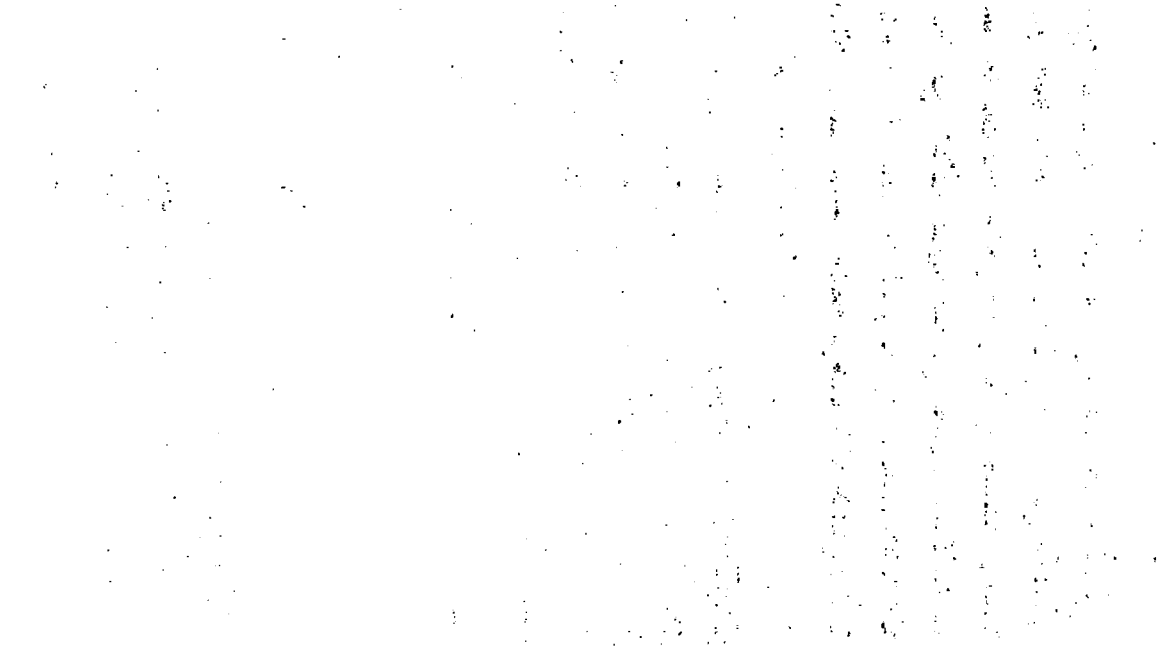

السيـــرك

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

— ١ —

يقـــول أخي... "ده أحسن سيرك في البلد"....ويجرجرني من يدي في إصرار.. يتابع.."أمّا عندهم حتة مهرّج"...فأذهب معه..وأندس في طابور طويل..الليل جالس فوقنا.. والقمـــر في إجازة على ما يبدو..أرفع ياقة قميصي لتصد عني إبـــر الـــبرد المتراشقة... أجاهد...حتى لا أسقط على من أمامي... بفعل الدفعات المتتالية من الخلف.. أحاول أن أبتـــسم مـــن حـــين لآخر..وأقنع نفسي أنها تجربة جديدة على أي حال.

نظفر في النهاية بتذكرتين.. تمزق طرف إحداهما من الـــشد والجذب..وننـدفع مع المندفعين، عبر مسارات ملتوية...معتمة.. تطول وتقصر..حتى نجلس أخيرًا تحت القُبـــة العاليـــة لخيمـــة السيرك.. أضواء مبدورة في كـــل مكـــان ...تُغـــشي عـــينيَّ للحظات.. أُغمضهما..أفتحهما..ناس لا أول لها ولا آخـــر.. أصوات عالية متداخلة..عرق..الأرض مغضنة بالقمامة..أزيـــح من تحت قدمي كيس مهملات ممتلئًا فيما يبدو.. قدمي تثقبه.. فيخرج ما به.. ويدوّخ أنوفنا برائحته.. ثمة موسيقى تبـــدأ في الارتفاع.. وشخص أسمر نحيل.. يخرج علينـــا مـــن خلـــف

fb/mashro3pdf

الستار..وفي يده ميكرفون.. يقول أشياء لا أفهمها.. لكن بعض الناس من حولي يضحكون.

يدخل المهرّج..كبيرًا على ما يبدو.. يلطّخ وجهه بالألوان الزاعقة..خلفه بعض المساعدين..أنتبه..الكل يتقافز.. يصخب..يضحك في صوت مدو..فيما يقهقه كل من حولي.. أمسح عرقي.. رغم برودة الجو..أتابعهم.. يخبطون أيديهم على أرجلهم..من شدة النشوة.. يصفقون.. يصفّرون..ألتفت..لأجد أخي مثلهم...ولا أنجح في أن أفعلها وأضحك!

الذي بدأ يثيرني بالفعل..عندما جلس المهرج على كرسي عتيق..وأمسك في يده جريدة..وارتدى نظارته..وراح يقرأ أخبار الحوادث..لحظة.. يتثاءب المهرج..يضحك واحد من الجمهور بلا سبب..يسقط شيء ما ثقيل خلف الستار..تموء قطة بصوت متقطع.. في مكان ما..تسقط بضع قطرات من المطر في الخارج..يُغلق المهرج إحدى عينيه..ثم الأخرى.. وعندما يحاولون إيقاظه.. يرفرف شيء ثقيل بجناحيه في المكان.. أسمعه..ولا يرونه..يقطع خيط الضوء المركّز على المهرج من أعلى للحظة.. ثم يعود الضوء أكثر قوة..ولا يستيقظ.

fb/mashro3pdf

— ٢ —

لم أستطع الحصول على تذاكر السينما التي أعدها بها منذ أسبوعين..أقول لصديقتي..(الطابور كان طويل قوي ولما وصلت..الراجل قال لي: "شطّبنا يا أخينا")..ثم أبتلع لساني.. ولا أخبرها أنه سكب فنجان قهوته السوداء على ما تبقّي أمامه من تذاكر.. وألقى في وجه زميله بسُبة فاحشة وهو يرمقني بنظرة لم أفهمها.. لكن لا يبدو على وجهها أنها تهتم.. فقط...تغرز واحدة من نظراتها الساخرة في وجهي.. تولييني ظهرها.. وقبل أن تمضي..تلوّح بتذكرتين في يدها بلا مبالاة.. أصيح.. "مين اللي جابهملك؟ ...فتجاوبني بضحكة...حادة... ممتدة... تسقط من يدي... وتتهشم على الأرض... قبل أن ألتقطها.

— ٣ —

في ورقة امتحان التاريخ... أرسم شجرة خضراء عالية... أرسم عليها عصافير وغربانًا وثعابين وحدادي وعقبانًا..أرسم سورًا كبيرًا من الورد..أرسم ولدًا صغيرًا باسمًا ينظر للسماء... يلوّح بيده لسحابة تعاكسه...وأرسم رجلاً سمينًا ...يقف إلى جوار "بلدوزر" ضخم في طرف الصفحة... يفرغ الحبر من القلم...أمد يدي لأحضر غيره من جاري...يرفض.. ويشتمني.."يا خويا اتلهي...هو أنا فاضيلك؟"

fb/mashro3pdf

أسمع زئير محرك سيارة ...ألتفت في حدة ...الرجل السمين يغافلني.. يقفز في كابينة القيادة..وينطلق فجأة بالبلدوزر..أضع المسطرة أمامه في سرعة.. يهشمها ويمضي في طريقه..يجتاح السور حول الشجرة..تعبّق أنفي رائحة الورد المذبوح.. ثم الولد الصغير..لم يجد الفرصة ليصرخ..ثم الشجرة..صوت سقوطها كان مدوّيًا..متداخلاً مع صوت الغربان والعصافير والحدادي والعقبان..لا أستطيع منعه...يواصل الطريق..يخرج من نهاية الصفحة.. ويهرب!

أنتبه فجأة لأسئلة الامتحان تشدني من كُمي وترمقني بغلّ..عندما تغافلني دمعة..وتسقط مكرمشة جزءًا من ورقة الأسئلة.. أقلب الصفحة..أكتب في أعلاها "السؤال الأو..."...أُحس صخبًا.. فيما ينهض كل من حولي بغتة..أسمع صوت حذاء ثقيل يرتطم بالأرض.. يد خشنة تمتد.. يشد المراقب ورقتي.. يصفعني صوت.."انتهى الوقت".

— ٤ —

صدمتني سيارة مسرعة وأنا أعبر الطريق.. لم أهتم كثيرًا بالتقاط نمرها..أمور مثل هذه تحدث كثيرًا.. الناس يلتفون حولي.. أحدهم يتنازل عن جريدته..ويغطي بها وجهي الملطخ بالدماء..رغم أنها جريدة هذا الصباح، همسٌ يتسلق أكتاف الواقفين حولي..."يا خسارة... ده باين عليه ابن حلال".. لو

fb/mashro3pdf

كنت حيًا.. لابتسمت.. هذه أول كلمة إطـــراء أسمعهـــا في حياتي!

وهج يتكشف لعينيّ من بعيد..في شكل منتظم..في ظلمـــة ونور يتعاقبان.. أبدأ الترقي إليه.. ليس كمثله شيء.. يقترب.. ويبتعد.. تبهر عيني آلاف الألوان.. لحظات.. وأنا على بُعـــد كاف.. ألمح المدينة الغارقة في لهائها.. البشر والأمكنة.. أمي.. تعد وجبة العشاء للإخوة..ترمق الساعة..وتملأ كاسات حنقها عليّ.. كانت تنتظرني حفلة ســـاهرة علـــى مـــا يبـــدو..أبي يتثاءب..يتقلّب على فراشه.. ولا يلتفت لصوت أمـــي وهـــي تناديه.. ليضرب الولد الذي كسر المزهرية.. لأعلى.. لأعلى.. ومكتـــبتي المتخمـــة بكتـــب أقـــسمت أن أقرأهـــا يومًـــا.. لأعلي...صـــديقتي في الـــسينما.. عنـــدما انطفـــأت كـــل الأنوار..بجوارها أخي.. تغرق معه في ســـعير القـــبلات... لا تموت فيـــه ولا تحيـــا..أواصـــل الـــصعود.. ألمـــح المهـــرّج العجوز..يصعد مثلي.. لكنه ما يزال يلـــهث..ولا يفعلـــها في سهولة.. أنحدر إليه ...لحظة... آخـــذ بيـــده... ونـــصعد سويًا...الـــومض يتكـــاثف..صـــوت موســـيقي الـــسيرك يعاودنا..لكنه أكثر هدوءًا وانتظامًا هذه المرة... خفق أجنحة عديدة يجاورنا..وعيوننا تمتلئ بلمعة قطرات المطـــر الـــصاخب الساري حولنا.. دون أن يلامسنا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مجــرَّد قِطّ!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عندما خرجتُ للسطح اليوم لأدخن سيجارة.. رأيت هـذا القط الضخم ذا العين الواحدة.. يرمقني بتركيز ويتابع حركتي!

أحسستُ بالغيظ.. واهتاجتْ مشاعري فورًا.. فألقيتُ عليه السيجارة المشتعلة..

رأيتُها ترتطم به.. ولمحتُ آثارها في جلده.. إلا أنه لم يحرّك شعرة من جسده!

ازداد غيظي.. وقررت أن أطارده..

أتقدم منه.. يُفلت.. أعاود الكَـرّة.. بمقـشة في يـدي.. وإصرار في عيني على تلقينه درسًا لا ينساه..أُغلق باب السطح بصوت مزعج..أحاوره..أدنو منـه... ويتباعـد.. يقفـز.. ويختبئ.. يظهر.. ويموء.. ويفرد مخالبـه في وجهـي.. حـتى أحصره في الزاوية.. لا مهرب ولا مفر..

يرفع مخالبه أكثر.. يعاود المواء..

أقترب...

fb/mashro3pdf

شبح ابتسامة يغزو فمي في انتصار.. وعيناي ترقبان مراوغته الأخيرة اليائسة..

يتوقف فجأة عن الحركة.. ويرمقني بعينه الواحدة في تركيز.. فأتوقف أنا الآخر..

يتقدم مني فجأة.. وقد قرر ألا يكون فريسة سهلة المنال..

أشعر بدهشة وخوف بدائي..أتراجع لحظة.. ثم أتماسك.. وأتقدم مرة واحدة.. وأنا أهمس: "ده مجرد قط!".. أرفع يدي عاليًا..أهوِي بالمقشة الثقيلة بكل ما أملك من قوة على رأسه....

أرفع يدي بسرعة محمومة لأعاود الكَرّة..

لكن..

لم يكن القط هناك..

أفرك عينيّ وأعيد التحديق.. أتلفت حولي.. وأنظر..

لا أثر...!!

لحظات صمت.. فزع.. أفيق بعدها فجأة.. أنتفض.. وأسرع بمغادرة السطح كأني أفرّ.. وصوت مواء خانق.. حاد ورفيع.. يتردد أكثر من مرة..كأنه مقيم داخل أذني.. ولا يبدو أن له نهاية!

.....

fb/mashro3pdf

أول يوم لي في العمل الذي حلمتُ به سنينًا..

حتى الآن لا أصدق الملابسات التي تتابعتْ حتى أوصلتني لهذا المكان..

بذلة وربطة عنق ومنديل في الجيب الأعلى للجاكت.. وابتسامة متفائلة.. ونغمة محببة.. أدندن بها.. وأنا أطرق الباب بأدب مبالغ فيه على سيادة المدير..

ـــ "ادخل.."

ـــ "صباح الخير يا أفندم.. أنا جيت في المعاد اللي سيادتك حددته.."

هل سمعتُ صوت ضحكة ساخرة؟!

لاشك أنه وهم.. وخوف تقليدي من مواجهة تحقق الأحلام!

ـــ "معلش يا أستاذ.. مش هينفع تشتغل معانا"

يبدو أن الضحكة الساخرة لم تكن وهمًا!

ـــ "بس يا أفندم.. من أسبوع واحد بس جيت.. وسيادتك وافقت.. وبعدين.."

ـــ "الظروف اتغيرت يا أستاذ.. واتفضل لو سمحت عشان ورايا شغل.."

fb/mashro3pdf

هذه المرة أسمع صوت صفعة حـادة.. أتراجـع في قـوة للخلف.. حتى أفلت منها.. أجد الباب خلفـي.. أفتحـه.. وأخرج.

.....

ـ "أبو خطيبتك جه النهارده وجاب لك علبـة الـشبكة بتاعتك.. خير فيه إيه؟"

لم أكد أدير المفتاح وأدخل البيت.. حتى وجد هذا الخـبر طريقه إلى أذني.. ثم قلبي..فاعتصره..

ـ "بتقولي إيه يا ماما؟... ليه؟... حصل إيه؟"

ـ "ما أعرفش والله يا ابني.. اتصل بيها واسألها".

من شدة الذهول.. أُخطأ مرات في طلب نمرتها.. أخـيرًا.. يأتيني صوتها:

ـ "ألو؟"

ـ "خير يا سارة.. فيه إيه؟... إيه اللي حصل؟"

ـ "مفيش حاجة.. بس كل شيء قسمة ونصيب.."

ـ "فجأة كده.. أنا زعلتك في حاجة طيب؟! ده إحنا لسه امبارح كنا.."

كليك...

صفير متقطع من الطرف الآخر..

fb/mashro3pdf

حركة خافتة.. ولكن نومي القلق لم يُفلتها.. واستخدَمَهَا لكي ينقشع عن عقلي فورًا..

أهب من السرير.. وأنا ألقي بسمعي ليتسقّط مزيدًا من الأصوات..

من الصالة.. لاشك أنه من الصالة..

أفتح باب حجرتي في حذر..

الظلام.. والتوجس.. وصوت الأنفاس الخافت..

فجأة.. أضغط مفتاح الإضاءة..

لا أحد..

ألفُّ أرجاء الشقة..

لا أحد..

أتنهد في ارتياح..

أدق باب حجرة والدتي:

ـــ "فيه إيه يا ابني؟... إيه اللي مصحيك دلوقتي"

ـــ "مفيش يا ماما.. بطمن عليكي بس"

صوت أقدامها.. ووجهها الحبيب.. وشعاع نور يتسلل من فرجة بابها الذي انفتح في وجهي:

fb/mashro3pdf

ـــ "اطمن يا حبيبي.. أنا بخير"

تتسع فرجة الباب أكثر.. ألمح هذه الفوضى أسفل الدولاب.. أدخل الحجرة مهرولًا:

ـــ "إيه ده يا ماما؟"

تتبعني..ثم تتسمّر في مكانها.. وهي تشير إلى العلبة المعدنية الملقاة في ركن وهي تصرخ:

ـــ "يا نهار أبيض.. اتسرقنا.. اتسرقنا يا ابني.. تحويشة عمرك راحت يا ضنايا"

.....

السطح.. والسيجارة..

هذا كل ما تبقى لي..

ماذا يحدث لي؟

أين الخطأ؟

فجأة.. ألمحه.. نفس القط الذي اختفى..

وهل يمكن أن أنساه؟

أُحس بالذهول..لكن لم يكن لدي طاقة هذه المرة ولا شجاعة كافية لأطارده..

أُلقي عليه نظرة طويلة.. أزدرد لعابي.. وأتراجع بظهري ناحية الباب..

fb/mashro3pdf

لا أدري لماذا أحس أنه من الضروري أن أفرّ!

ينغلق باب السطح في عنف فجأة.. قبل أن أصل إليه..

أشعر بالهلع.. فألتصق بالباب المغلق.. ولا أستطيع نزع عيني من على عين القط!

يبدو أكبر حجمًا من السابق.. وجسده أشد سوادًا..

تضيء عيناه..

"عايز مني إيه؟!".. أصرخ..

أدق على باب السطح بعنف.. وأرفع صوتي في كل لحظة..

يتقدّم مني في تؤدة.. كأن لديه الوقت كله ليفعل ما ينـــوي فعله..

"عايز مني إيه؟!".. أصرخ..

أواصل الدق والنداء..

ويواصل التقدم..

يموء..

"عايز مني إيه؟!"

أرى فجأة كتلًا سوداء أخرى تظهر من نقطة لم أتبينـــها.. أكبر مجموعة من القطط السوداء أراها في حياتي..

يحيطون بالقط الأعور.. ويتقدمون معه..

fb/mashro3pdf

أشعر أني في كابوس.. أخبط رأسي بيدي في قوة لأفيق..

كابوس.. لاشك أنه كابوس..

يموءون معًا.. في صـــوت واحـــد.. ويتحركــون بـــنفس الخطوة..

يقتربون..

يستبد بي الدوار.. أضع يدي على قلبي.. فلا أحـــس لـــه نبضًا.. أشعر بالمرئيات تهتز أمام عيني...

عايزين مني .. إيــــــه...

"لااا"

السقوط...والارتطام العنيف بالأرض..

....

أفتح عيني فجأة.. ضوء قوي ومبهر..

صوت همهمة خافت.. يعلو..

يد بشرية تبدأ رحلتها من جسد صاحبها.. وتقترب مـــن رأسي..

أمي..؟!

إنها يد أمي..

أين أنا؟

fb/mashro3pdf

ماذا حدث...

آه.. الصداع اللعين..

أمد يدي لأتحسس رأسي.. فأجد هذه الضمادة الضخمة تحيط بها..!

ألتفتُ إلى أمي في ضعف:

ـــ "إيه اللي حصل؟"

ـــ "لما اتأخرت فوق السطح.. طلعت لك.. لقيت الباب مقفول.. ناديت عمك أحمد..كسر الباب.. لقيناك واقع على الأرض.. وراسك بتترف..."

أستعيد ذاكرتي دفعة واحدة.. فانتفض جالسًا على الفراش.. وأصرخ:

ـــ "والقطط.. فين القطط؟"

ـــ "قطط إيه بس يا ابني.. سلامتك!"

ـــ "السطح كان مليان قطط.. وكانوا عايزين يموتوني.. راحت فين القطط.. راحت فين؟!"

ـــ "لا حول ولا قوة إلا بالله.. بس اهدى كده يا ابني.. اهدى الله لا يسيئك.. السطح كان فاضي ومفيهوش غيرك"

تربت رأسي في حنان.. وتقبلني.. وتوصيني بالراحة..

تدثرني بالأغطية.. وتطفئ النور.. ثم تغلق الباب.. وتخرج.

fb/mashro3pdf

.....

وفي الظلام...

كنت أراه..

وأشعر به..

تلتمع عينه الوحيدة نفس الالتماعة..

ويحيط به رفاقه..

يتقدمون مني في تؤدة..

في صمت..

في إصرار....

.....

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

العصـــفور

fb/mashro3pdf

لـــم أستمع إلى كلمة واحدة..من كل الذي ظلوا يصبّونه في أذني.. طوال الليل..وقررت أن أذهب..ما الذي يفهمونـــه هم عن أي شيء؟..كان الجَمع كبيرًا جدًا.. والأصوات عالية متداخلة إلى حد لا يُصدق..والأضواء والزغاريـــد والطلقـــات النارية التي ظلت تخترق قبة الـــسماء في تـــصميم..ســـاعَدَني جسدي النحيل على التسلل وسطهم.. لم يلتفت لي أحـــد.. كنت الآن أكثر قربًا من أي وقت مضى، وأستطيع أن أرى ما جئت خصيصًا لأراه..عينيها..فقط عينيها...وسط كل هـــذا الصخب.. كان يهمني جدًا.. أن أتطلع إلى عينيهـــا..فهمـــا وحدهما يحملان السر..

(في عينيكِ كانت المدن تغتسل من ترابها وترتدي فـــساتين زفافها..وتغنيِ.. من أجلي وحدي)

أتوجّه بكل كياني إليها.. أمسح زجاج نظارتي بعناية..أضع يدي على قلبي..وأنظر في لهفة.. لكني...لا أبصر عينيها...ولا أستطيع أن أرى..سوى حفرتين قاتمتين مكان العينين!!

fb/mashro3pdf

ينطبق فمي في دهشة..أفــرك عــينيّ..أفتحهمــا علــى اتساعهما..أثبِّت النظارة في دقة..أعاود النظر مــن جديــد.. الوجه والشعر والأنف وبقيــة الملامــح الغائمــة في الزينــة المفتعلة...ولكن...لا عينان...لا عينان على الإطلاق!!

(في عينيكِ..أختبئ من كل مالا أفهمه ولا أحبه)

وتلمحني -كيف بلا عينين؟-..فتتجمّد لحظة..ثم تخلّــص يدها من ذراعه..وتشير لي بحركة لا معنى لها على الإطــلاق.. وتضحك في فرح.. فأرى -هذه المرة- خفافيش سوداء صغيرة جدًا..تخرج مندفعة من فمها..وتصطدم بــوجهي وحــدي.. أتراجع في خوف.. وأنا أدافع الخفافيش بيــدي..وأصــرخ.. وأستنجد بمن حولي.. ولكن..لا يبــدو أن أحــدًا يهــتم..أو يلاحظ.. الكل سادر في غنائه وصخبه.. أتراجع أكثر.. وأنــا أحس أنه لم يعد لي مكان ها هنا..

أعطيهم ظهري وأرحل، أتمشّى على"الكورنيش".. تــشدني رائحة البحر دائمًا.. كأنما بألف ذراع..أرمق حــوار المــوج والبشر والعواميد الصاحية أبدًا.. تائهًا..أصطدم بالطفل الصغير الــذي يلعــب بقطعــة الصلــصال وحــده..يبتــسم في وجهي..ويعطيني قطعته.. "سوف أصنع لــك شــيئًا جمــيلاً مثلك"..أمسك القطعة..أعجن الصلصال.. أصــنع عــصفورًا بديع الريش..يضحك الطفل ويمد يده ليأخذه..

fb/mashro3pdf

يسقط العصفور مني.. لكنه لا يصل إلى الأرض أبدًا..فجأة..يفرد جناحيه..ويطير.. يبكي الطفل..ويدبدب برجليه على الرصيف..يشدني من يدي كي ألحقه..

أجري خلف العصفور.. ألهث.. أنادي عليه.. يرمقني من أعلى.. يتوقف لحظة..ثم يقرر العودة إليّ.. يحط على كتفي في استكانة.. لا أكاد أصدق.. أمد يدي في حذر.. أحاول الإمساك به في حرص.. ولكنه يرتفع من جديد للسماء..وقد تشبثت مخالبه الدقيقة بقميصي.. فبدأتُ -لدهشتي وذعري- أرتفع معه.. لأعلى.. لأعلى.. "اتركني أيها اللعين"..ولكن العصفور – على الرغم من مقاومتي وذهولي- ظل يحملني..ويرتفع بي.. طبقة بعد طبقة..وسترًا بعد ستر..لأعلى..لأعلى..حتى وجدت نفسي أهوي فجأة..بكل ثقلي نحو الأرض..وأنا أصرخ وأنادي..وأهذي..وأضرب الهواء بذراعيّ في يأس..

وفي آخر لحظات السقوط.. بعد أن بُح صوتي..وارتخت يداي..أدركت أنني أسقط بالضبط.. فوق المكان الذي اجتمعوا فيه..يغنّون ويضحكون..وأدركت كذلك..أني -في قرارة نفسي- أضحك الآن مثلهم.. وربما أكثر..فقد فهمت فجأة..أن سقوطي على هذا النحو المدوي.. أمام عيونهم جميعًا.. سوف يُفسد عليهم -بكل تأكيد- ليلتهم.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بعد الغـــروب

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

— ١ —

هـــذه آخر مرة أسلّم عليها.. قبل أن تبلعنا الأيام..أنظر إلى بوابة الجامعة المغلـــقة..والأصـــــدقاء المبتـــسمين..في وجـــه فلاشات التصوير..والصخب والـــضحـــكات.. وجماعـــات الرفـــــاق التي تبتعد..أقول لها.."فلنرحل دون سلام حـــــتى يظل هناك دائمًا شيء ناقص..يطالبنا أن نستكمله..حتى يظـــل حنين يـــديّ إلى يديـــك جارفًا"..تهمـــس "ولكـــني أريـــد حضور يديـــــك الآســـر ليعينني علـــى الغيـــاب"..أُطـــرق لحظة.. ثم أرفع إليها عينين مبتسمتين.. أمد لها يـــدي.. تمـــد يدها.. تتعانقان.. كانت توليني ظهـــرها وهي تقول.."أتمـــنى لك الخير"..فأهمس.. "أتمنى لك الخير".. ولا أرفع عـــينيّ مـــن عليـــها.. حتى يغيب الطيف.. وتخفـــت الرائحـــة..ويتبـــدد الـــصـــوت..وتنعطـــف في نهايـــة الـــشارع الطويـــل.. تنعطف..وتضيع..

fb/mashro3pdf

— ٢ —

يتأبط ذراعي في فخر.. وهو يدخل الحفل.. يشير بفرحة إلى رفاقه:

— "جئتكم بأبي كما وعدت"..

— "أهلاً "عمو"..هل لابد أن نقيم حفل تخرج..كلما أردنا رؤيتك؟"

— "إنها المشاغل يا أبنائي".

أحس بالعينين اللتين تخترقان مؤخرة عنقي..ألتفت في حدة...معقول!! أنت؟! أنت بالذات..؟! تتقدّمك البسمة الرائقة.. والرائحة التي لم أنسها.. والذكريات الصاحية أبدًا... يا رعشة القلب الكهل.. واختلاجة المشاعر...(العين في العين.. القلب واجف مهتز..العقل متردد حائر.. هل تمتد اليد لليد؟...وهل تلتقي الكلمات بالكلمات؟) أتقدم منها في بطء..وقلبي يركض بين ضلوعي.. أمد يدي..تمد يدها..أتعلق بها.. ولا نقوى على النطق.. (ولا أستطيع إلا أن أبتسم..ولا تستطيع إلا أن تبتسم..وبعد الابتسامة.. تخرج الكلمات خافتة.. متقطعة..تسأل عن الأحوال.. وما وراء الأحوال.. دون تعبير واضح.. ولكن بتلميحات شاردة.. تكشف عن معان عميقة بعيدة)... أمد يدي في حركة عفوية.. أتحسس شعري الذي ابيض..والتجاعيد في وجهي..وأرمق في

fb/mashro3pdf

عجب.. ملامحها التي مسح عليها الزمن بيديه...فزادها حلاوة وجِدّة..

ابني يقترب مني.. ويقدم لي زميلته:

-" نورا يا أبي"...

-"أهلاً يا ابنتي"...

تبتسم.. تمد يدها.. تهمس.."أرى أنك تعرّفت والدتي".

ألتفت في حدة..."أنت"..تجيبني البسمة.. والصوت القديم..."ابنتي وابنكَ.."..فأضحك..من قلب القلب..أضحك.. وملامحها تعود..لتملأ كياني كله.. تُسكرني.. تعيد إليّ الدنيا التي ولّت..تزرعني في رحم فرحة..حتى يدوّي الصوت الذي ينادي على الخريجين..أفيق..أنزع عيني من عليها..أرمق ابني يتقدم في وقار.. يعتلي المسرح.. يتسلم شهادته..يشير لفتاته.. يضحك.. ويسلّم على رفاقه... فيصفقون.. وأصفق..تغافلني دمعة..لا أستطيع منعها.. تسقط فجأة... ترتطم بيدي... وأنا ما أزال أصفّق في حرارة.. أنظر إليها... وإليه..وأصفق...أصفق...أصفق..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

هوامش على دفتر النكسة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

— ١ —

وغـــدًا..تتجملين..تلبسين فستان زفافك الغالي..وتغـــرقين في التهاني والزغاريد..وضحكات الفرح والسرور..تبتسمين في وجـــه أصـــحابك.. وتغـــنّين..وترقـــصين بـــين يديه..وتنسينني..ولكنك إذ تكونين وحدك..تذكرينني..

هامش:

عندما كانت وحدها..كانت تخلع ملابسها بهمة..وتـــضع العطور المختلفة..وترتدي ربع قميص النوم الأبـــيض..وتهـــدّأ درجة الإضاءة..حتى ينتهي زوجها من حمّامه..

— ٢ —

وغدًا..تتمددين عارية كالسيف..تحـــت صـــدره كثيـــف الشعر..ومع تأوهـــات اللـــذة العارمـــة..ولزوجـــة حبـــات العرق..تنسينني..ولكنك إذ تفيقين..تذكرينني..

هامش:

كل مرة كانت تفيق فيها..كانت تطلب المزيد..ولا ترتوي لها غُلّة أبدًا..

fb/mashro3pdf

— ٣ —

وغدًا تضحكين لدعاباته حتى الثمالة..وتستمرئين كل حرف يقوله.. وتتدللين عليه..وتشاكسينه.. وتتمسحين كالقطة فيه..وتنسينني..ولكنك إذ تحتاجين البهجة الحقيقية التي تهز القلب..تذكرينني..

هامش:

كانت بهجتها الحقيقية.. لحظة أن يضمها زوجها بين يديه..

— ٤ —

وغدًا..تنسين كل الذكريات..كل الأفراح الصغيرة التي هزّتنا..كل الأحزان الوديعة والأحلام..كل الوعود.. تنسين كلام الحب.. وضوء الشمس.. ورائحة الورد والليل والحنين..والسير بلا هدي في الطرقات ساعة نزول المطر..تنسين ضحكي وبكائي.. المخلوط بضحكك وبكائك..وتنسينني.. ولكنك إذ تطالعين الليل وحدك..تذكرينني..

هامش:

الليل لديها الآن أصبح مخصصًا لزيارة الأقرباء..والجلوس على الإنترنت..والتجوال بالسيارة الفاخرة من أجل نسمة هواء..

fb/mashro3pdf

— ٥ —

وغدًا.. تنسين أحلامي التي ضيعتها..وأحزاني التي أهديتها لي عن طيب خاطر.. وجراحي التي لا تلتئم..وقلبي الذي فقد الذاكرة..ودنياي التي أشهرت الإفلاس على يديك.. ولكنك إذ تستمعين لإحدى أغانينا العاطفية -التي همْنَا بها حبًا- تذكرينني..

هامش:

لا يعرف أنها الآن عندما تسمع أي أغنية عاطفية تظل تضحك حتى تدمع عيناها..

— ٦ —

وغدًا.. تنسين ملامح وجهي.. وخطوط جبيني..وشكل أصابعي.. ولون عيوني..وطعم قبلاتي..ودفء أحضاني.. ولون بشرتي..ولكنك إذ تُنجبين..وتنظرين لملامح ابنك..تذكرينني..

هامش:

أنجبت أربعًا من البنين..و لم تتذكره..

— ٧ —

وغدًا..تسقط من أذنيك أصداء كلماتي.. ويتلاشي صوت همسي ومناجاتي..وكل أحاديث الليل في الهاتف حتى مطلع الصباح..ولكنك إذ تطالعين قصيدة لي في أي جريدة..تذكرينني..

fb/mashro3pdf

هامش:

رأت اسمه مرارًا في أكثر من جريدة.. وكانت تجهد ذهنها كل مرة-مخلصة-لتتذكر أين سمعت اسمًا مشابهًا من قبل...

— ٨ —

وغدًا..تنسين كل ما كتبته من وحيك..كل الأشعار التي ألّفتها في مجد عينيك..ولكنك إذ تطالعين النسخة التي أهديتها إليكِ من كتاباتي..تذكرينني..

هامش:

لا يعلم أنها استعملتها من زمن لتغليف الشطائر وتنظيف المائدة..

— ٩ —

وغدًا..تقولين له في لحظة صفاء.."أنت أول وآخر من أحببت..وما عرفت قبلك إلا وهمًا..أنت الذي كنت أفتش عنه"..ويضحك مزهوًا وتضحكين..ولكنك إذ تطالعين صورنا.. ونحن متشابكا الأيدي في رحلات الكلية..تذكرينني..

هامش:

لا يعلم أنها مزقت كل صوره وخطاباته قبل زفافها..وهي تضحك مع زميلاتها على تعلقه الشديد بها.. وتريهم خطاباته.. وتحكي مزهوة عن نوادره..وأشعلت النار في البقايا..

fb/mashro3pdf

— ١٠ —

وغدًا..تبدو لك الحياة وكأن ليس هناك أجمل منها ولا أهنًا..والسعادة طوع أمرك..ولكنك إذ تحلمين بأيامي..وترينني آتيًا من بعيد فاتحًا ذراعيّ..تذكرين أن حياتنا التي رسمناها سنينًا..كانت حتمًا ستكون أجمل..والسعادةَ أصفى..

هامش:

لا يعلم أنها لم تعد تحلم..

— ١١ —

وغدًا.. تتوحدين معه..وتدورين في عالمه.. وتكونين كساعة يده..ومنديله الورقي.. وجريدته وماكينة حلاقته..ولكنك إذ تعودين من السفر الطويل..

وتغادرين مواتك وغربتك..وتأتين إلى أرض ذكرياتك..تذكرينني..وترفعين سماعة الهاتف في لهفة..لتستعيدي الدنيا التي ولّت..مع موسيقى صوتي..

هامش:

لا يعلم أنها نسيت رقم هاتفه من ليلة زفافها كما أنها الآن لا تتحدث إلا في "الموبايل"..

هامش أخير:

إنها قوية الذاكرة حقًا هذه الفتاة!!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

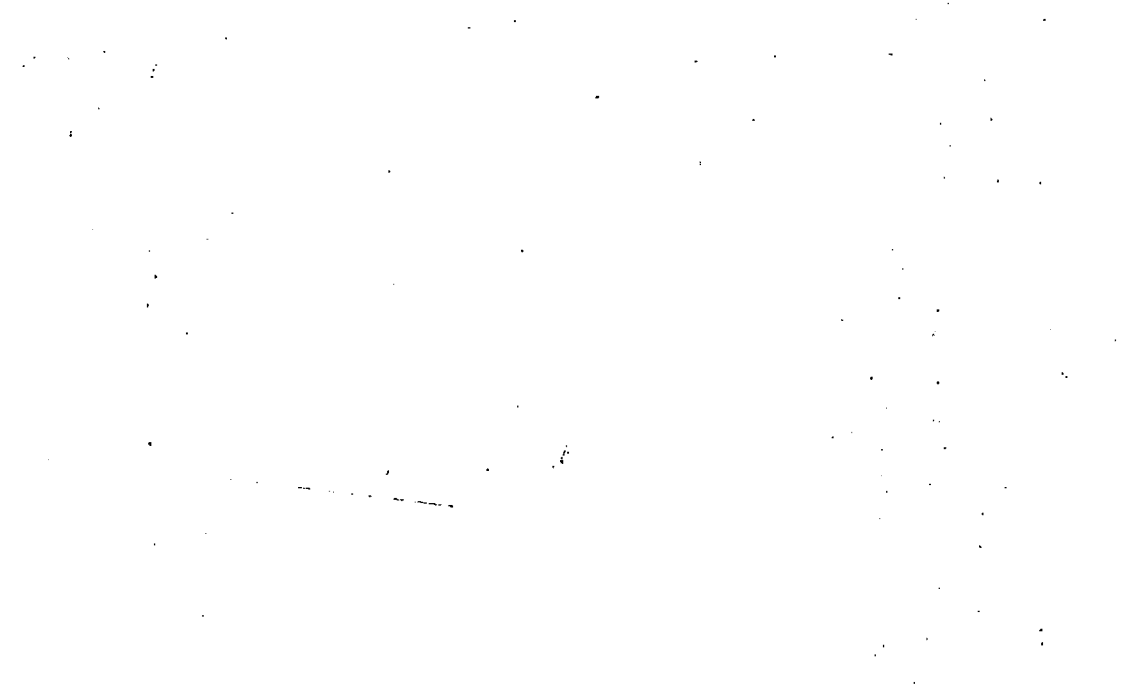

عن الوجوه التي بدت

أكثر تفاؤلا من المعتاد

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

لم أتمتع قط برحلة "المترو" مثل اليوم!

فالوجوه -لسبب ما- كانت تبدو أكثر تفاؤلا من المعتاد، ترمقني في ود، وتتركز دائمًا عند عينيّ المندهشتين، لكن أغرب شيء كان يحدث على الإطلاق، أنني عندما أبتسم في وجه أحدهم وأعاجله بـ"صباح الخير" كان يبادلني الابتسام والتحية!

نسيتُ محطتي لانشغالي بحصد الدفء البشري من المحيطين بي، حتى سألني أحد الركاب قبل نهاية الخط بقليل: "هو إنت نازل فين؟"

أحدق لحظة فيه غير مستوعب للأمر، ثم أفيق فجأة وأنا أقول في حرج: "المحطة الجاية".

يتهادى"المترو" ويدخل إلى الرصيف، تنفتح الأبواب، ويخرج العديد من البشر، كنت آخر من بدأ في زحزحة جسده على مضض وأنا لا أتمنى الخروج.

fb/mashro3pdf

هالني صياح البشر من حولي، مع شعوري بألم انغراز شيء في لحمي، عندما انغلق مصراعا الباب وأنا بينهما فجأة، ثم اندفع "المترو" مرة واحدة للأمام!

تفجرت الهستريا من حولي، ومن يحاول أن يجذبني بقوة إلى الداخل، ومن يصرخ، ومن يرفع "الموبايل" ويطلب من لا أدري، ومن يحطم النافذة الزجاجية الخاصة بالطوارئ، ويشد ذراع الفرامل ليوقف "المترو"

لكن شيئًا لم يحدث.. استمر "المترو" في اندفاعته المجنونة، وأنا بالكاد أشعر بأطرافي!

أحاول التماسك وأهمس لنفسي: "كلها محطة وتنزل"!

الأضواء التي تومض في عيني فجأة ثم لا تلبث أن تسحب أذيالها وتعود من حيث أتت، الصوت العالي المدوي، والأفكار.

جاءت المحطة التالية بعد وقت طويل جدًا، وصاح الركاب المتجمعون على الرصيف عندما رأوا وضعي الغريب، وأسرعوا نحوي يحاولون جذبي للخارج، ويحاولون فتح الباب، وانفتحت بالفعل جميع أبواب "المترو" عدا الباب الذي حُشر فيه جسدي!

وجاء المهندسون وسائق القطار وناظر المحطة، والكل لا يصدق كيف حدث هذا، ولا يجد طريقة ما لإنقاذي!

fb/mashro3pdf

اتصالات وأصوات بعيدة لعربات إسعاف، وأياد تمتد لتربيت كتفي، ونظرات ذهول وألم تستوطن عيون من لا أعرف.

يعاودني الشعور بالدفء -رغم موقفي- مرة ثانية، وأتمنى ألا ينتهي هذا الاهتمام الشديد بشخصي المتواضع.

ناظر المحطة يشير إلى ساعته في قلق وغضب، والسائق يتململ في مكانه، والركاب بعد فترة ينتبهون لما ينتظرهم من مواعيد ومسئوليات، فتتحول نظرات عيونهم إلى الاتهام!

ألمح إشارة خفية من ناظر المحطة، يستقبلها السائق بحذر، ثم يندفع إلى كابينة قيادته، ويبدأ في تشغيل المحرّك.

ينتبه الناس، فيرمقون بعضهم البعض على استحياء ثم بلا مبالاة، ويندفعون لركوب العربات التي سَرت فيها الحياة من جديد واستعدت للمغادرة!

وبدأ "المترو" مرة ثانية في التحرك.

في البداية شعرت بالدهشة، ثم قررت أني جائع قليلًا، فمددت يدي الحُرّة دخل القطار إلى أحد الركاب أطلب منه قطعة "ساندويتش" من التي يمسكها بيده، فمنحني قطعة صغيرة جدًا على مضض.. لكني لم أستطع إيصالها لفمي!

fb/mashro3pdf

تطوع أحد الشباب وأخرج من جيبه "مطواة" في الخفاء، وثقب زجاج الباب بعد عناء، بحيث يسمح لي بتمرير "الساندويتش" لليد الأخرى خارج القطار.

ولما أحست بالعطش تبرع لي راكب بعلبة كانز.

مضت المحطات، ومضت الأيام، والناس يستقبلونني بدهشة في البداية، ثم برتابة وعادية، حتى لم يعد أحد يشعر في النهاية بوجودي على الإطلاق، وكثيرون حسبوا يدي الممدودة داخل القطار شماعة يمكنهم وضع ملابسهم عليها، خاصة في أوقات الحر الشديد.

بعد فترة تسيت الجوع والعطش و لم أعد أشعر بغير قليل من البرد من انقطاع القطار، لكن حتى هذا الشعور سرعان ما أخذ يتراجع حتى اختفى.

أكثر ما أسعدني أنني أخيرًا استطعت حفظ أسماء محطات "المترو" من كثرة لفي ومروري عليها، فهذا شيء فشلت في عمله سنوات طويلة، رغم مواظبتي على مراقبة اللوحة الملصقة أعلى كل باب في القطار.

واستطعت كذلك أن أزوّغ من دفع ثمن التذكرة، والركوب آلاف المرات، دون أن أكون مضطرًا للنزول في أي من المحطات التي تستقبلني وتودعني طوال الوقت.

fb/mashro3pdf

خيوط العنكبوت

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أرى أبي.. يشاهد المسرحية الكوميدية في التليفزيون.. ويضحك.. أمي ترمق الساعة كل ثانية.. وتهمس.."لقد تأخرتَ".. يرتفع ضحكِ أبي..يشير بيده في ضجر..ويهمس.."لن يضيرهم الانتظار قليلاً".. تنتهي المسرحية..يفرغ صبر أمي.. ويقوم أبي.. يشرب كوبًا من الماء المثلج.. يقبّلني..ينظر لأمي في حنان..ويدخل فراشه.. ويموت..!

أرى إخوتي.. يدخلون عليه.. يقبّلون يديه ورأسه..وأنا أقف خارج الحجرة.. أرتجف.. تجيء أمي.. وتمد يدها تداعب شعره الهامد.. تقبّل رأسه وتقول.."إلى اللقاء"..تقف أمي وتصيح.."انتهوا سريعًا"..يبدأ أخوتي جميعًا في البكاء.. تنسلّ أمي من بينهم.. وأجدها أمامي فجأة..ترمقني في غضب:

ـــ "لماذا لم تنم؟"

ـــ "أنا خائف"..

ـــ "لن تخاف بعد اليوم"..

تشير لإخوتي..فيتسرّبون من الباب.. وهم يتمازحون..تدفعني داخل الحجرة وتغلق الباب.. أصرخ..

fb/mashro3pdf

أناديها..أدق على الباب.. حتى تدمى يداي..ينهض أبي من الفراش.. ويصرخ.."اصمت..إنك تقلقني"..ويموت.. أزداد رعبًا..وأنا أحدّق فيه..ينهض ثانية ويقول.."انظر..ولا تُضع وقتك"..يشير بيده ناحية الباب..ويموت..

أرى الباب يتحوّل لنافذة ضخمة.. أشاهد من خلالها أمي وإخوتي.. يجلسون حول مائدة اجتماعات كبيرة.. تقول أمي"لا يمكن أن ننتظر للصباح"..يقول أخي الأكبر.."لن نجد مشيّعين الآن"..تقول أمي.."لنستأجرهم"..تقوم وتتجه ناحية صندوق أبي الضخم.. تفتحه وتُخرج منه رزمًا من النقود.. تقول.. "من سيأخذ منها؟".. يقوم الأخوة ويبدأون في التشاجر.. تقول أمي في استمتاع.."الأقوى له نصيب"..يزداد العراك..حتى يسيل الدم.. ويرتمي الإخوة في النهاية.. منهكين.. تقول أمي في انتصار.."سآخذها أنا".. تعود النافذة بابًا..يدق عليه الأخوة ويدخلون.. يجيء وراءهم خلق كثير.. في يد كل منهم ورقة نقدية من التي رأيتها في الصندوق...يرفعون أبي.. ويحملونه على أكتافهم..ويمضون.. أصرخ.."أبي حي"..تنطلق ضحكاتهم وهم يتزلون الدرج.. أشد أمي من يدها.. وأقول.."ماذا سيفعلون بأبي؟"..تزيح يدي في حدة..وتبدأ في طلاء أظافرها بلون وردي..وتقول بلا مبالاة.."اذهب لتعرف".

أنزل الدرج..وأجري خلفهم.. يتوقفون أمام حفرة ضخمة في منتصف الشارع -أراها لأول مرة الآن- يلقونه فيها

fb/mashro3pdf

بإهمال.. ويعودون لمزاحهم.. أبكي.. وأنا أنادي أبي في حرقة، يجيئني صوته فجأة.. من الأعماق البعيدة المظلمة.."اصمت.. إنك تقلقني"..مختلطا بصوت صافرة قطار.. يتأهب للرحيل.. وينفث الدخان بكثافة من مدخنته المتداعية..

أرتجف.. وأنا أجري ناحية البيت.. أمسح دموعي وأكتم الشهقات في صدري.. أرى الأضواء في بيتنا من بعيد..وأسمع الزغاريد والضحكات الصاخبة.. أقترب في حيرة.. بشر لا أول لهم ولا آخر.. إخوتي في أبهى زينة..وأمي ترتدي فستانًا أبيض مكشوف الذراعين..تتأبط ذراع رجل ضخم..من الذين ألقوا أبي في الحفرة.. والجميع يغنّون..

أصرخ.."ماذا تفعلون؟"..تضيع صرختي في الزحام.. يجيء رجل بعمامة خضراء..ويقول كلامًا كثيرًا..تدوّي الزغاريد..وينفضّ الجمع سريعًا.. أرى الرجل الضخم..يشاهد المسرحية الكوميدية في التليفزيون ويضحك.. أمي ترمق الساعة كل ثانية.. وتهمس.."لقد تأخرت".. يرتفع ضحك الرجل.. يشير بيده في ضجر ويهمس.."لن يضيرهم الانتظار قليلاً"..تنتهي المسرحية.. يفرغ صبر أمي.. ويقوم الرجل..يشرب كوبًا من الماء المثلج..يقبّلني.. ينظر لأمي في حنان..ويدخل فراشه.. ويموت..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

انكسار الأشرعة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

كل يوم.. قبل أذان الفجر بلحيظات.. ترى أمَّك تطرق الباب.. وهي ترتعد من البرد والمطر الذي يكاد يغرق العالم.. وتجري أنت في نفق مظلم وطويل.. تقفز وتلف وتدور وتنخفض وتتمايل.. حتى تفتح لها... وتراها أمامك..لأول مرة منذ سنين طويلة.. تمسك بقلبها الواهن... تنطق اسمك بلوعة... وتموت.

ترى ملامح وجهها الطيب في وجوه زميلاتك في العمل - حتى وإن كنّ شابات صغيرات!- وتشم رائحة طعامها كلما مررتَ أمام أي مطعم، تشاهد نظّارتها معروضة في كل واجهات محلات النظارات، وثوبها البسيط في كل محلات الملابس، وتردد اسم دوائها كلما ذهبتَ للصيدلية تبحث عن دواء!

كل لقمة عيش ونَفَس وتنهيدة وحركة.. تتذكرها.. وتعلم أنك لا تملك -كالسابق- ترف رؤياها.. وبينكما كل هذه الكيلومترات والصحارى والمدن والبشر!

fb/mashro3pdf

وبينكما.. طموحك الكبير.. الذي أخرجك من القمقم ذات يوم.. ودفع بك إلى بلاد الله الواسعة.. لتفتش عن خاتم سليمانك.. وبساطك السحري الذي وضعتَ له ألف ألف تصميم قبل أن تقرر أن تأتي هنا... لتجده.

وما زلت لا تملك في نهاية يوم معدني خشن مثقل بالإرهاق.. إلا أن ترفع سماعة الهاتف.. لتقول لها عبر المسافات البعيدة: "وحشتيني يا أمي"..

فترد عليك... مثل كل مرة.. بدموعها التي لا تراها.. ولكنك تشعر بكل قطرة فيها.. فتمد يدك لتمسحها من على خدك أنت!

(٢)

للأعوام الطويلة لغة تخاطب بها القلب والأحلام المعتّقة في سراديب الروح.. أصبحتَ تفهمها أخيرًا، وتتجاوب مع مفرداتها.. هذا هو العام الواحد الذي كنتَ تُقسم أنه كل ما ستهبُه للغربة منك.. تطاول وأنجبَ أيامًا وشهورًا لم تكن في الحسبان.

والبئر ما يزال فارغًا.. والروح ما تزال على عطشها القديم..

كم للذكريات في دمك من ثارات؟!

كم للمدن.. للرفاق.. للأحلام...

fb/mashro3pdf

لكن الرحى تدور.. والضوء يجذبك إلى مركزه أكثر.. ولا شيء يجلس على مقعد القيادة في داخلك.. إلا سلطة القرش والجنيه!

(٣)

هذه لحظات ستتذكرها للأبد..

حتى لو خبأتَها عن نفسك، قلبُك سينبشُ رفاتها، ويظلُ يعرضُها أمام عينيك طوال العمر!

ـ "أحبكِ ولكني أريد أن أبحث عن ذاتي".

ـ "أوَلستُ ذاتَك؟"

ـ "ذاتي الصغرى.. وأنا أفتش عن الكبرى!"

ـ "هل هو المال؟"

ـ "القوة التي يمنحها المال".

ـ "والقوة التي يمنحها الحب؟!"

ـ " إذا تصارعت القوتان.. انهزم الحب".

ـ "لو كان الحب ضعيفًا!"

ـ " لقد قررتُ".

ـ " ولم تجد لي وسط قراراتك مكانًا؟!"

ـ "....."

fb/mashro3pdf

ولم تمنحك بعدها لا كلمة تتصبّر بها، ولا حتى نظرة عتاب تشغل نفسك بتفسيرها فيما بعد، فقط.. ظهرها الصغير الذي كان آخر ما رأيته منها، وهو يتأرجح ويبتعد، ويغيب في صمت.

(٤)

الملمس الذي تركتَ من أجله كل شيء، يتخللك وأنت تحتضن راتبك الشهري، وتتحسس في حنان كل قطعة وجزء، تنسى التعب والإرهاق، ولا تتذكر إلا رقم حسابك في البنك، والرصيد الذي يتضخم كل آن..

ترفع السماعة وتطلب والدتك، لا أحد يرد، مرة ثانية، نفس الصوت الخانق للجرس اللحوح الذي لا يعيره أحد أي انتباه..

تغلق الهاتف وقلبك يخفق بشدة.

(٥)

كنتَ تكتب جيدًا، كل من قرأ لك أخبرك بهذا، وتمنى لك مستقبلاً باهرًا..

في لحظة فاصلة أحرقتَ كل ما كتبتَه طوال عمرك..

وبعتَ كل ما كان يزيّن مكتبتك من كتب..

فقد فهمتَ أخيرًا حقيقة اللعبة..

fb/mashro3pdf

ولم تعد تجد إشباعًا في نوادي الأدب الإقليمية ولا النشر في بريد القراء ولا الاشتراك في مسابقات الهواة..

كنت تبحث عن إشباع أكبر..

عن ضوء وعن شهرة..

قررت أن الوقت قد حان لنسف كل ما أثقل قدميك كل هذا الوقت..

وقد فعلت..

(٦)

لحظات ضعف لا شك تمر بها أو تمر بك..

ينبض قلبك بقوة.. يضيق تنفسك... ترتعش حدقتا عينيك..

وتفكر في العودة...

تخايلك صور الطرقات الترابية المعجونة بعرق الناس الغلابة.. رمضان وبهجته التي لم تستشعرها منذ سنين.. شلة المقهى وأحلام الشباب..باب البيت المعدني المتهالك الذي يعزف سيمفونيته الصدئة كلما دفعته لتدخل...

لكنك لا تلبث أن تُعد لنفسك كوبًا من الشاي الثقيل بدون سكر كما تحبه.. ببطء وتأن.. تفتح باب ثلاجتك العامرة.. تُخرج قطعة لحم وقليلا من الأرز.. تجلس لتستعيد توازنك.. وتفكر..

fb/mashro3pdf

لماذا تعود.. وكل شيء يسير كما تتمنى؟

ما الذي ستخسره لو بقيت عامًا آخر أو عامين؟

سيظل الكون يدور، والبشر يسيرون، والحياة تتدفق..

كم أضاعتك العواطف.. لكن اليوم أنت تدرك تمامًا ما تفعل.. ولن تتركها تلعب معك لعبتها القديمة!

كم من الرفاق الرومانسيين سقطوا أمامك.. وفقدوا كل شيء في لحظة ضعف.. لم يستطيعوا مقاومتها!

أنت لست مثلهم، ولا تملك نقاط ضعفهم، أنت مكتمل، أنت أقوى.

(٧)

أمك مريضة.. خمنتَ هذا قبل أن يأتيك الهاتف من أختك!

وأحسست بخوف حقيقي عليها.. عليك.. على عالمك..

لستَ بهذه القوة التي تتصورها إذن..!

هل آن الأوان لتعود وتراها؟

لكن ظروف عملك لا تسمح... والراتب الشهري..و.. أمورك المعلقة.. و..

سوف تتحسن والدتك بلا شك.. وسوف تستأنف الحياة سيرها..

fb/mashro3pdf

لا داعي لكل هذا الفزع.. ولا داعي للتصرفات غير المدروسة..

يومان أو ثلاثة وتطلبها وسوف ترد عليك بنفسها.. وينتهي كل شيء..

(٨)

كل تحكمات رئيسك يمكنك التعامل معها بحنكة الآن..

اختلفتْ ردود أفعالك، وتقييمك لموضوع الكرامة كثيرًا عن الأيام الأولى لك هنا..

امتلكت أخيرًا النظارة السحرية ألتي تستطيع بها أن ترى ما تريد أن تراه في الوقت الذي تريد فيه ذلك..

اختفت الحدود الحاسمة بين الأشياء وبعضها البعض..

وأصبحت تتمكن ببراعة من تمييز اللون الرمادي!

(٩)

علاقتك بأختك تجمدت.. تليفون أو اثنان كل عام، وربما رسالة في إحدى المناسبات التي لم تعد تمثل لك أي قيمة، لم تعد تعلم كم عندها من الأولاد، أو أحوالها مع زوجها..

نفس القصة مع أصدقائك، الذين رحلوا والذين لم يزالوا يزحفون على أرض الوطن، الكل تسربل في ذهنك بغمامة سوداء، تتسع كل يوم لتجور على مزيد من عالمك، وترمي بك أكثر في أحضان ما اخترتَ لنفسك بكامل إرادتك الحرة.

fb/mashro3pdf

(١٠)

منظر شروق الشمس والعصافير المزقزقة التي تنادي على ما لا تراه.. لم يُحرّك فيك شيئًا.. بجمود وتصلب.. تراقب.. وتنتظر.. علّ شيئًا فيك يصحو.. ويطالبك بأن تنفعل..تواصل الشمس الصعود للأعالي حتى تضطر لإغلاق عينيك عن وهجها.. وتكمل العصافير سيمفونيتها.. وأنت تُوقف سيارتك جوار مقر عملك في رتابة.

(١١)

مضى أسبوع.. ثم جاءك الخبر.. تحمله دموع أختك.. وضربات قلبك التي ارتفعت إلى حد خطير..

ها أنت قد أضعتَ آخر فرصة لكي ترتمي بين أحضان أمك وتبكي..

ها أنت قد فقدتَ آخر خيط يربطك بالسماء..

.....

(١٢)

لم تخبر أحدًا بقدومك..

لا أختك ولا زملاء العمل ولا أي أحد!

لا تدري لِمَ فعلت هذا!

fb/mashro3pdf

أهم شيء أن تصل في الوقت المناسب.. وتحمل نعش أمك.. وهي التي طوال عمرها تحملك..

رغم ازدحام المطار بالمسافرين من كل الجنسيات.. تشعر بوحدة خانقة..

ولأول مرة تبدو بكل هذه العجلة للعودة لبلدك!

عرق -رغم هدير أجهزة التكييف- يجتاح روحك ذاتها.. ذكريات ورؤى وأحلام مؤلمة تصر على مرافقة خطواتك...

هل تذكر أول مرة هبطتَ فيها هذا المطار؟!

هل تذكر كم من السنوات مضى؟!

ماتت أمك.. ترددها في نفسك.. تتذوقها.. فتقف في فمك.. وتنغرز في حلقك..

ترى نفسك في بيت عريض بلا جدران، يرتفع السقف بلا عمد، أشياؤك مبعثرة بلا ترتيب، وكلما مددت يدك إلى إحداها، تباعدت، يهوي السقف فجأة على رأسك، ترفع يديك، فلا تقدران على صده، ينغرز جسدك في الأرض، في حين يواصل السقف الهبوط ببطء، حتى تدفن تمامًا وفوقك يمشي العابرون دون أن يلحظوا وجودك!!

لماذا تتأخر الإجراءات هكذا؟!!

تشعر أنك على متن مركب فاخر وواسع يتفتت قاعه ببطء، وتهاجمك سرطانات البحر، ومن بعيد يبدو قرش

fb/mashro3pdf

شرس في طريقه إليك خصيصًا، وحيوانات طائرة غريبة تُصرّ على مهاجمتك رغم صوت صراخك العالي وجريك في كل مكان ومناداتك على كل مَن تعرف ومَن لا تعرف!!!

الضابط يضع ختمه على جوازك.

ليل أسود وقاتم يظلل رأسك، تفتح النور، ينطفئ، تضيء شمعة، تهب ريح خفية وتقصف عمرها، تُشعل "الكشاف" الحديث الذي اشتريته بثمن غال، ينفجر في وجهك وتنغرز قطع الزجاج الدقيقة في لحمك!!

تصرخ وتصرخ وتصرخ.....

تليفونك يرنّ.. نعم هو تليفونك.. يرنّ..فكرت أن تتجاهله.. لكنك رغم ذلك.. تمد يدك.. وترد..

ـــ "فينك خيي.. فيه شغل محتاجك..شو.. والدتك.. الله يرحمها..بس الحي أبقى من الميت.. يلا يلا.. منتظرينك حالاً".

بوابة الرحيل وأصوات الطائرات والبشر والضحكات والدموع والعرق وحقائب السفر ورجال الأمن في زيهم الموحد وجواز السفر والتأشيرة وصوت مديرك وابتسامة أختك التي نسيت شكلها.. و..أمك!!!

أمك التي ماتت دون أن تمسح ابتسامتُها ملامح وجهك المتعبة...

fb/mashro3pdf

دون أن تلمس أطراف أصابعها فتضمن أعوامًا من الخير والبركة..

أمك التي..

صوت التليفون مرة ثانية....

ويدك تمتد في استسلام لتجيب عليه.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

فـــــرح النـار

fb/mashro3pdf

عـــود كبريت واحد.. وحركة واثقـــة ســـريعة..وضـــوء مبهر..ثم أنظر باستمتاع ودهشة لانعكاســـات زهـــرة النـــار المذهلة.. قبل أن أُفلتها من يدي وأتركها تسرح فيمـــا حـــولي بسرعة بالغة..أبتعد للوراء..بينما يشتعل كل شيء...كم تمنيت دومًا أن أرى النار تجتاح كل شيء.. منظر فاتن بحق..الأشـــياء تتحدد بإطار رائع وواضح مختلف الألوان حولها..ولا تلبث أن تتوهج أكثر فأكثر، ثم تنكمش وتتصاغر حتى تختفي.. ما الذي يدور في ذهن النار الآن.. وهي تسعى لضم جميع الموجـــودات لعالمها؟...وهي تسود وتنتصر؟... ما الذي تحس به الأشـــياء وهي تلتحم بكتلة النار..تتطهر..تصل لـــذروة التـــوهج.. ثم تذوب؟!

أصوات الطقطقة العاتية.. وخيوط الدخان التي تغلف كـــل شيء.. لماذا أشعر بكل هذا الهدوء والأمان؟.. النار تتقدم الآن من غرفة المكتبة..التي قضيت عمري أُكوّنهـــا.. أضـــحك في سخرية.. وماذا في هذا.. فليحترق "شيللر" و"دستيوفـــسكي" و"العقاد" و"توفيق الحكيم" وكل العظماء الذين صدّعوا رأسي كل هذا العمر..وأفقروا جيوبي كل هذا العمر أيضًا.. كـــأني

fb/mashro3pdf

أسمع صراخهم وهم يحترقون.. ما أمتع هذا..كم تمنيت لو أني أراهم رأي العين وهم حقيقة يحترقون!

تراوغ النار وتتقدم ناحية غرفة أبي وأمي.. وماذا في هذا.. ألن يموت جميع الناس؟.. ثم إن الموت حرقًا.. يجعل صاحبه شهيدًا.. أو لست برًا إذن بوالدي إذ أمنحهما شرف الشهادة؟.. تعجبني الفكرة جدًا.. فأضحك في استمتاع.. آه.. لو أستطيع أن أساعد جميع البشر بمثل هذه الطريقة الرائعة..لأبقي عاريًا من البشر.. وحدي فوق قمة هذا العالم..

النار تقوى.. تسود.. وتتربع فوق عرش الدنيا..أتأمل..أسمع لها زئيرًا..ويخطف عينيّ الوهج..وتتسلط على رأسي الفكرة..لماذا أظل وحدي.. بعيدًا عن فرح النار..بعيدًا عن طهارتها وعنفوانها؟.. فلتأت لي أنا أيضًا..أنا أحق الناس بضمّتها الحانية وخلاصها المذهل..أتقدم قليلاً.. وأقف في طريق النار..أنا أنتظرك..

أشعر بالتوتر يغمر كل جسدي.. وبالشوق كذلك.. واللذة.. واللهفة.. والرجفة العاتية.. وأنا أرى النار تبدأ رحلتها نحوي..أخيرًا شعرتْ بوجودي.. سوف تصل لي في أي لحظة الآن.. أفرك كفيّ.. وأمسح حبات العرق... أبحلق فيها بشدة.. وقد بدأت تتلمس الطريق نحو ملابسي..أشعر بدغدغتها في كل جسدي.. الحرارة الواهنة.. الحرارة العالية..

fb/mashro3pdf

الحرارة الطاحنة الرائعة...النار.. النار.. أصرخ في جنـــون.. في سُعار..في ألم ووله..في لذة وانهيار..أصرخ..أصرخ.. أصرخ..

ومن خلال الدخان الذي أصبح كثيفًا كجدار.. واللـــهب الذي أصبح عظيمًا كطود.. أرى –كالطيف– المفتاح يـــدور في قفل الباب من الخارج.. وأبي وأمي يقتحمون المكـــان مـــع جمع غفير من البشر.. وهم يصرخون ويولولون ويحاولون إطفاء النار..

لكني وحدي الذي كنت أبكي وأضحك.. أسقط وأنبـــت من الأرض.. أذوب وأولد.. أنادي وأحترق..وأدرك أن كـــل شيء قد انتهي..قد انتهي فعلاً....

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الحمامة والعكاز

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

— ١ —

الحمامة المتكئة على حافة الإفريز.. بيضاء.. والعكاز في يدي..أسمر..لو تقدمتُ خطوة..طارت.. لو وقفتُ ثانية طارت.. تفرد الجناحين.. فأُشهر العكاز..تُلقي نظرة عابرة عليّ..فألقي نظرة ثابتة عليها..ترتفع فجأة.. وخلفها يطير العكاز..تراوغ.. تتباعد.. تُفلت منه..يختلّ توازني على رغمي.. يجذبني الطريق في قوة من يدي.. أسقط..وعيناي معلقتان برفرفة الجناحين المبتعدين...

— ٢ —

قررت أن أرسل برقية حب وتأييد.. للسيارة السوداء الضخمة التي صدمتني وأنا أعبر الطريق.. إنها الشيء الوحيد في هذا العالم..الذي اقترب مني لهذا الحد..

— ٣ —

في الفرح الضخم... كان الجميع يهنئونها.. في كفنها الأبيض الغالي.. وكنت الوحيد الذي يهنيء أهلها..

fb/mashro3pdf

— ٤ —

سخروا مني عندما رأوني أعـرج.. جاءوا بالكرة.. وأخذوا يناوشونني.. في ثـورة أهشّم العكاز على حافة الرصيف وأنـا أشـتمهم.. فيـزدادون ضـحكًا ويـسـرعون ليبـدأوا لعبهـم..وعندما أحـاول المسير.. لا أستطيع.. أرتمي على الأرض.. وأبكـي.. وخشب العكاز يلتئم في بطء..يقف ثانية أمامي ويتقدّم مني وحده...

— ٥ —

لم أخبرهم أنه زارني بالأمس مرة أخـرى..جلـس علـى حـافة فراشي.. تناول الشاي وأكـل بعـض الخبز البائـت عندي.. قـال إنه لن يجد خيرًا مني..وعنـدما قـدّمت لـه سيجارة..دخّنها ممتنًا..وحملـني معـه على فرسـه.. ليريـني قصـري في مملكته..كان من الذهـب الخالص.. قلت له.."لا أحـب الذهب..منذ رأيته يشتريها به".. فأمرهم أن يكون من الياقوت.. ففعلوا..وعندما طلبت.. منحني عباءته.. ثم أعـادني لحجرتي قبل أن يستيقظ أحد..

— ٦ —

زارني لآخر مرة اليوم، وأهداني درعه وسيفه، قـال لـي "لقد حان الموعد"، وهو قد أصبح كبيرًا جدًا على مثـل هذه الأمور..ولم يعد سواي يمكنه أن يفعلها.. مثلما خطط هو ودبّر بالضبط.. منذ رآني وأعجبته.. مسح على قـدميّ بيـده

fb/mashro3pdf

وابتسم.. فسرى فيهما الدفء والحياة.. أخرج صورتها من جيبه..وضع دائرة حول وجهها المبتسم.. ثم أعطاني ظهره.. ومضى..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مكـــاشـفـات

fb/mashro3pdf

جـــاء أبي وأيقظني من النوم.. قلت له.."مرحبًا..هل أعـــد لك شايًا؟"..همس.."فيما بعـــد..هيـــا معـــي الآن"..أرمـــي الأغطية...وأقوم معه.. يحملني على كتفيه ويخترق الجـــدار.. وأجد أننا نطير في السماء.. يقـــول.."انظـــر"..أرى المبـــاني الشاهقة.. والسيارات العابرة..تستحيلُ توابيتَ ضيقةً.. داخل كل تابوت.. يرقد واحد أعرفه.. أو لا أعرفه.. في ثياب سوداء من قطعة واحدة..تلتف حول عنقه أفعى ضخمة..تعتـــصره في بطء.. أرى آلاف التوابيت المتراصة التي تبـــدأ زحفهـــا نحـــو البحر.. تفوح منها رائحة مقيتة!

يبتعد البحر كثيرًا..حتى لا تطوله التوابيت..تهرب عواميـــد النور بجلدها وتختبئ خلف بيتنا (الوحيد الـــذي ظـــل كمـــا هو)..أصرخ..يقول أبي.."لا تصرخ"، ثم يقول.."انظر"..أرى من أعرفهم في توابيتهم..تتبدل بشراتهم رويدًا..تتساقط لحومهم ببطء..فلا أعود قادرًا على تعرفهم!

أبكي..يقول أبي.."لا تبك"..ثم يقول.."هيا معي"..ويحملني نحو البحر..ويلقي بي هناك..يلسعني البرد.. وأنا أهـــوي مـــن حالق.. مناديًا أبي.. بأعلى صوت.. تلطمني المياه بعنف عندما

fb/mashro3pdf

أرتمي على صدرها.. تجيء سمكة قرش ضخمة وتحملني على ظهرها.. أقول لها.."أريد أبي"..تتمايل..وهي تخترق بي مناطق مظلمة.. مليئة بأسماك عملاقة عمياء..

من بعيد..أرى ضوءًا أخّاذًا..يكبر كل ثانية..تتوقف السمكة.. وتنفض ذيلها بعنف.. فأجد نفسي أنزلق من على ظهرها.. أمام الضوء مباشرة..أرى أبي..يغيب في قُبلة حارة.. مع حورية من البحر.. لها وجه عمّتي.. وذيل سمكة.. أنادي أبي.. يلوِّح بكفه في غلظة..أنادي عمّتي.. تصرخ في وجهي وتصفق بيديها.. فيجيء إخطبوط ضخم..يسحبني -بأذرعه الثمانية- وأنا أقاوم.. يقذفني بعنف.. فأجد نفسي على البر..

أنهض في صعوبة..وأنا أشعر بإعياء شديد.. أقول في دهشة.."أين أبي؟"..وكيف لم أغرق في البحر؟"..أجد أبي أمامي.. يبتسم بركن فمه كعادته قبل أن يموت في حادثة القطار، وقبل أن أفتح فمي.. يحملني ثانية على كتفيه..وأجد نفسي في السماء..يقول.."انظر"..أرى مدينتي من جديد.. المباني شاهقة والعواميد منيرة.. والسيارات تروح وتجيء..تأتي ذئاب ضخمة..وتحيط بالمدينة..يخرج الناس للشوارع..يتقدمون نحو الذئاب.. بهدوء ونظام..أصرخ.. يقول أبي.."لا تصرخ"..ثم يقول.."انظر"..

أرى الذئاب تتراجع..في بطء.. والناس يتكاثرون عليها..وكل واحد يُمسك في يده.. شوكة وسكينًا وحبلاً

fb/mashro3pdf

كبيرًا.. يلفونه حول عنق الذئب.. ثم يخنقونه ويبدأون في التهامه.. أبكي..يقول أبي..."لا تبك".. أقول.. "أعدني لنفسي" يقول.. "اذهب"..أقول.."لا أستطيع بدونك".. يقول.."اذهب".. أجد نفسي أسير في الهواء..باهتزاز في البداية.. ثم باتزان..أرى مترلنا من بعيد.. حجرتي مضاءة..يناديني دفؤها.. أمسح دموعي.. وخيال يتبدّى لعينيّ.. من خلف النافذة المغلقة..أسري.. حتى أصل..أدق على النافذة.. تفتح لي فتاة جميلة.. وتقول.."لماذا تأخرت؟".. أدخل.. أقف مستندًا على الحائط..وأنا ألهث..أقول لها.. "من أنت؟"..فتضحك في استمتاع.. تتحرك نحو فراشي.. تخلع ملابسها وتلقي نفسها فوقه..ثم تغمض عينيها..وترفع يدًا مستنجدة إليّ.. أقول لها.."لن تصدقي ما رأيت"..تتأوه.. تتمرغ على الفراش.. وتردد اسمي بصوت مبحوح.. أقول لها.."لقد عرفت الحقيقة".. تمد يدها..وتجذبني نحوها في قوة..أرى شكلها يتبدّل.. وتتحول إلى صورة من حبيبتي التي هجرتني..أقول لها وأنا أتباعد.."لماذا عدت؟"..

تقول.." لم أرحل حتى أعود"..

أقول..."بحثتُ عنكِ.. في كل مكان"..

تقول..." طوال الوقت وأنا هنا"..

أقول.. "ماذا تريدين؟"..

تضحك ضحكة ماجنة..وتقول.."أنت.."

fb/mashro3pdf

وتعود للتثني..تقترب مني في تؤدة... أصرخ..."لم أبحث عنك أنت"..

يجيء صوتي عاليًا..أحس بالباب يُفتح في حدة.. أرى أمي ومعها إخوتي.. يرمقونني في عدم فهم.. ثم في استنكار..

تقول أمي.."في بيتي يا داعر"..أهتف.."أمي..أنا.."

يصرخ إخوتي.."لم تعد أمك..ولم نعد إخوتك"..

تنهار التي على صورة حبيبتي..وتبدأ في البكاء.. تقول.."هو مَن استدرجني..هو من استغل حبي"..

يقول أخي الأكبر.."ستتزوجها حالاً"..

أرى المأذون.. وأرى إخوتي بجواره.. وأرى أمي..تهدئ التي على صورة حبيبتي..فأتراجع في يأس..أرى المباني التي تستحيل توابيت..وأرى حورية البحر التي على صورة عمّتي.. وأرى الذئاب تعوي من بعيد..فأختنق.. وأتلفت حولي.. ألمح أبي من النافذة..يشير إليّ.. ويبتسم.. يجيء صوته لي وحدي.."تعال"..أقول.." لا أستطيع بدونك"..يقول "تعال"..أغافلهم.. وأرمق -لآخر مرة- التي على صورة حبيبتي.. ثم أفتح النافذة..غير ملتفت لصراخهم.. أمد قدمًا..فقدم..وأبدأ السريان من جديد.. أرتفع.. وأبي.. يمد يده ليساعدني.. ولكن يده تعبرني.. ولا تمسك بي أبدًا.. أنظر إليه في ذعر..فأجد على وجهه ابتسامة ساخرة.. تتحول لقهقهة عالية.. وأنا أشعر أن الهواء لم يعد يحملني.. أرى أهلي يرمقونني

fb/mashro3pdf

من النافذة..ويضحكون..والتي على صورة حبيبتي..تغمز لي بعينها وهي تضع يدها على كتف أخي الأكبر.. ثم تمتد يد أمي..في حدة لتغلق النافذة..قبل أن يصلهم صوت ارتطامي العنيف بالأرض.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الـوجـــــه

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

— ١ —

تباغتني صورته وأنا أرتشف فنجان القهوة السوداء.. فتنحّي كل الأفكار جانبًا في لحظة.. وتظل وحدها في مدى إبصاري.. أين رأيت هذا الوجه من قبل؟...ولماذا أتذكّره الآن؟..هل هو صديق من أيام الدراسة..أم زميل عمل..أم هل يكون من جيرة الماضي؟..وما هذا الشحوب الغريب في ملامحه؟ ولماذا ينظر إليّ هذه النظرة الميّتة؟.. يؤلمني التفكير..ولا أصل لشيء..ألقي الأمر برمته وراء ظهري..أتمطى..وأقوم لفراشي..أريح جسدي المكدود.

وفي نومي..يجيئني.. تتصاعد ضوضاء مختلطة عجيبة..من حيث لا أدري..ثم يبرز وجهه فجأة من العدم..معلّقًا في فضاء لا نهائي.. معدوم النجوم.. يحاصرني بذات النظرة الخاوية.. فأرتجف..وأبدأ في التراجع..إلى حيث لا مكان.. يتقدم ناحيتي في تؤدة..وفي عينيه إصرار عجيب.. تخفت الأصوات تمامًا..حين يقف قبالتي..ويرشق عينيه النافذتين في عينيّ..يختنق صوتي..وأسبح في عرقي.. وعيناي مسمرتان في عينيه.. أرفع يدي أمامي.. لأتقي شرًا لست أدري مصدره..أصرخ بصوت مبحوح..لم أسمعه أنا نفسي.."ماذا.. ماذا تريد مني؟"..فلا يهتم..ويبدأ في الدنو مني أكثر..وأنا أتراجع..وأواصل الصراخ.."من أنت؟.. من أنت؟".. ولكنه لا يتوقف.. ولا يبدو عليه أصلاً أنه يسمعني.. يواصل التقدم في إصرار..

fb/mashro3pdf

وأواصل الصراخ في يأس..يبدو كل شيء حقيقيًا.. الرعب والعدم والرعشة وحتى دموع القهر التي بدأت تسيل على خدّي.. يتقدم..وأتراجع..ويتقدم.. حتى أنتفض فزعًا من نومي.. أبسمل..وأتلفت حولي في ذعر..ويدي المرتجفة تمتد في لهفة لتضيء النور.

وفي اليوم التالي.. بدأ الوجه يزورني باستمرار.. يبتسم ويعبس..يصرخ ويضحك بصوت مدوٍ..ويرسم تعابير عجيبة بملامحه.. كانت له حياته الخاصة التي يفرضها عليَّ.. لحظة بلحظة..وبإصرار لا يلين.. من أنت أيها الوجه الصفيق؟..وماذا تريد مني؟!

وفي اليوم الذي يليه والذي يليه.. استمرّ الوجه يراودني..وأنا وحدي.. أو وسط الناس.. في صحوي ومنامي.. عندما آكل أو أعمل.. يتسلل إليّ.. ويظل يحلق في وجهي..ولا يحوّل عينيه عن عينيّ..حتى أفقد السيطرة على نفسي..وأهذي..وأصرخ..وأحطم ما تصل إليه يداي..

كنت أُجنّ ببطء..أنفعل لأتفه الأسباب.. أتشاجر مع الجميع..يَنْحَل جسدي.. وأكلّم نفسي بصوت عال..حتى أصبح الجميع يخافونني.. يتهرّبون مني.. ويتحاشون لقائي قدر إمكانهم.. ورغم ذلك.. فساعة تضيق بي الدنيا بما رحبت.. أهرب إلى الناس.. ومع أنهم لا يهتمون لأمري..فإنني أندس وسط تجمعاتهم.. وسط صخبهم ومشاغلهم..علّه يُفلتني.. علّه

fb/mashro3pdf

يضلّ طريقه إليّ، لكنه كان يعرف دائمًا.. ما يبحث عنه..وكيف يقتحم الجموع.. ويحدق في وجهي بالذات..ويدفعني للصراخ والهذيان.. وإطلاق ساقيّ للرياح.. دون هدف أو غاية!

بيد أني كنت مُصرًا رغم كل شيء.. أن أعرف ما الذي يحدث لي؟..ولماذا أنا بالذات؟.. أعتصر خلايا عقلي.. أنبش في ركام الذكريات.. أستعيد كل ما مضى من حياتي.. وأفتش فيه.. الأخطاء والتجارب والعلاقات..الماضي وماضي الماضي.. ولكني لم أكن أتوصل لشيء على الإطلاق!

لو عرفتك أيها الوجه الصفيق.. لعرفت سر مطاردتك لي.. ولكني لا أيأس..أقرأ في علم النفس والسحر والتنجيم..أمارس الرياضات الذهنية.. لتركيز فكري واستخراج أسراره.. أدخل عالم تحضير الأرواح.. المليء بالدجل والبخور وأشباح الغابرين..أستميت في سبيل الوصول لشيء..أي شيء.. حتى يجيئني الحل بغتة.. بعد إحدى زيارات الوجه الخاطفة.. والصراخ والبكاء..وتكسير الأشياء.. وفزع المحيطين بي.. لماذا لا أصف هذا الوجه لأصدقائي.. علّ أحدهم يتعرف إليه.. ويخلصني من عذابي؟!

أتحمس لفكرتي.. وأعتقد أن الخلاص أصبح قريبًا.. أتصل بأصدقائي جميعًا، أطلب منهم الحضور على وجه السرعة..وأبدأ -وسط دهشتهم- باستماتة.. أصف وأشرح وأصوّر.. بيدي

fb/mashro3pdf

ولـــساني وحركـــات جـــسدي..والأقـــلام والأوراق والأصوات..ولكن نظرة عدم الفهم في عيونهم.. تجعلني أتوقف فجأة.. أنظر إليهم في يأس..ثم في سخط..وأطردهم جميعًـــا في هياج..

و لم تتوقف زيارات الوجه..و لم تفتر همته في تكدير حياتي.. أنام وأصحو.. أضحك وأبكي.. أقف وأمشي.. وعينـــاي في عينيه.. في ظلام الـــسينما..وضـــوء الـــشمس.. في كـــوب الماء..ومنديلي.. وسجائري..ونظارتي الطبية..حتى أجد نفسي يومًا.. أزحف يائسًا.. مغبر الوجه.. مهمل الملابس.. مطلـــق اللحية.. لعيادة الطبيب النفسي..أبحث عنده عن ملاذ!

لكن الزيارة لم تُضف إليّ.. غير عشرات من المـــسكنات.. وأدوية النوم.. والنصائح التي بلا جدوى..ونظرة جنـــون.. لا تخطئها عين!

لم يعد أمامي إلا الاستسلام.. لكن لمحة من عنـــاد أخـــير.. حركها اليأس.. عادت تراودني.. وتدفعني للـــسير.. في آخـــر طريق ممكن.. أذهب إلى مقامات الأولياء..أطوف.. وأُنـــذر.. أرقص مع الدراويش..حتى أسقط من الإعياء..لا أترك شـــيخًا إلا وأذهب إليه.. وأتمسّح بأعتابه.. ولا وليًا إلا وأسأله.."يـــا مولانا.. من هذا الوجه؟..وماذا يريد مني؟"..والوجه يتسلل.. يتمادي.. يسيطر.. ويسود..

fb/mashro3pdf

تركت عملي.. واعتزلت الناس.. كنت أستقبل الوجه في استسلام.. أرمقه..ويرمقني.. في حوار صامت لا ينقطع.. لم أعد أصرخ.. لم أعد أحطم شيئاً.. فقط.. أنظر.. وقد أدركت المصير الذي يدفعني إليه الوجه..في إصرار..

لم يعد أمامي..إلا الانتحار..

fb/mashro3pdf

— ٢ —

أخيرًا.. أكتشف -فيما يشبه المصادفة- أين رأيت هذا الوجه -الذي أرّق صحوي ومنامي- في أحد الأصباح..وأنا أغسل وجهي.. كنت أنظر بعفوية.. للمرآة التي تعلو الحوض..فوجدته قابعًا هناك..يرمقني في دهشة.. متسع العينين.. في بلاهة.. وذعر.. وعدم تصديق!!

fb/mashro3pdf

عن الكاتب

حسام مصطفى إبراهيم

* حاصل على ليسانس آداب وتربية، قسم لغة عربية، من جامعة المنصورة ٢٠٠١.
* عضو اتحاد الكتاب.
* حصل على المركز الأول في مسابقة ساقية عبد المنعم الصاوي للقصة القصيرة عام ٢٠٠٧.
* كان مشرفا لصفحة "في الغميق" المتخصصة في التنمية البشرية بجريدة "الدستور".
* يعمل محررًا أول بموقعي "جود نيوز فور مي" و"عيون ع الفن"، ومراجعًا لغويًا بمجلة "سيدتي"، ومحرر ديسك بمجلة "كلمتنا".

صدر له:

١. صندوق الحكايات "١.نعيق الغراب"، مختارات قصصية ونقد، دار اكتب ٢٠١٠.
٢. جرّ شَكَل، دار ليلى ٢٠١٠.
٣. قراءة في كف الحب، طبعة ١ و٢ دار أجيال ٢٠١٠.
٤. يوميات مدرس في الأرياف، ط١ دار ليلى ٢٠٠٧، ط٢ دار اكتب ٢٠٠٩، وط٣ دار اكتب ٢٠١٠.
٥. من غلبي دار كيان ٢٠٠٩.
٦. لولا وجود الحب، ط١ دار أجيال ٢٠٠٩، ط٢ دار أجيال ٢٠١٠.

fb/mashro3pdf

٧. . مجموعة قصص أطفال، دار أرومة الجزائرية للنشر، ٢٠٠٩.

للتواصل:

Hosammostafa_it@yahoo.com

enghosammostafa@gmail.com

hebraham@gn٤me.com

مدونة فضفضات:

www.fadfadat.blogspot.com

fb/mashro3pdf

الفهرست

إهداء ٥

اهتزازات صغيرة

فرح ١١
أطراف الأصابع ١٣
أغلى شيء ١٥
فيروز ١٧
المقام ١٩
الذي في القلب ٢١
الأمير يعثر على سندريلا ٢٣
الجنة ٢٥
الرفع ٢٧
الرماد ٢٩
الأحوال والمواقف ٣١
الحلم ٣٣
الخروج ٣٥
انتظار ٣٧
الطيور ٣٩
العابرون ٤١
القرين ٤٣

fb/mashro3pdf

الملاك الأبيض ٤٥
بياض الورد ٤٧
فوز ٤٩
مصادفة ٥١
صباح عادي جدًا ٥٣
البطل ٥٥
السلام ٥٧
الدم ٥٩
التعيين ٦١
اكتشاف ٦٣

جروح غائرة

اللحاق بآخر عربة في القطار ٦٩
فرس أعرج ٧٥
كما كنت أخشى ٨١
بلاد الفرح واللؤلؤ ٩٥
صباحك سكر ١٠٧
أم أنك لا تدري ١١٩
الغريب ١٢٧

fb/mashro3pdf

أحلام محرّمة ١٣٥
معاتبة ١٤٥
آخر مرة ١٥٣
السيرك ١٥٩
مجرد قط ١٦٧
العصفور ١٧٩
بعد الغروب ١٨٥
هوامش على دفتر النكسة ١٩١
عن الوجوه التي بدت أكثر تفاؤلا من المعتاد ١٩٩
خيوط العنكبوت ٢٠٥
انكسار الأشرعة ٢١١
فرح النار ٢٢٥
الحمامة والعكاز ٢٣١
مكاشفات ٢٣٧
الوجه ٢٤٥

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

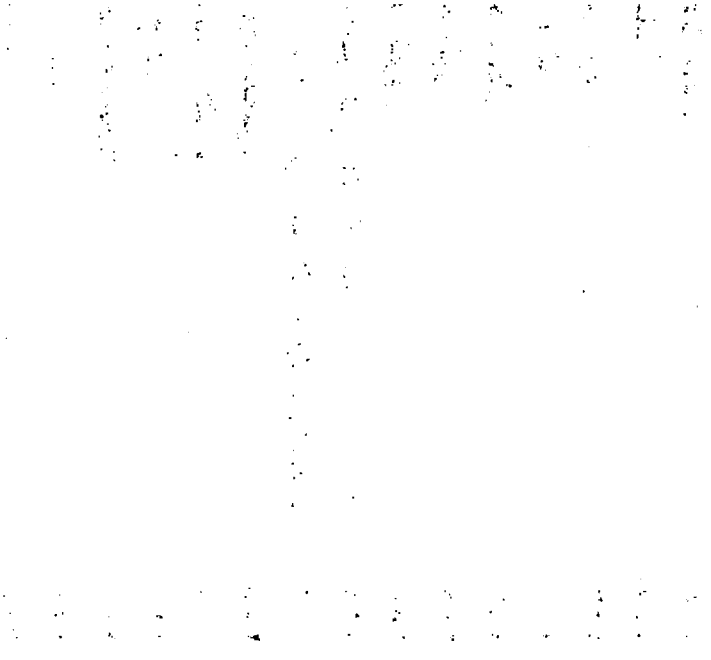

تصميم الغلاف عبدالرحمن حافظ

كان القطار يتحرك ببطء، لا يلبث أن يتزايد،
وهو يطلق صافرته الداوية، وأنا خلفه،
أرفع من سرعتي لألحق به، والجميع يراقبني
ويحثني على بذل مزيد من الجهد،
ركاب آخر عربة والكمساري الذي لمحني
من النافذة، والواقفون على الرصيف،
وعامل التحويلة، أخيرًا اقتربتُ، وقفزتُ
قفزة قوية، فأصبحتُ داخل العربة،
كنت أمسح عرقي، وألتقط أنفاسي،
وأشق طريقي، لأنتقل لعربة أخرى، وعندما
وصلت للباب الفاصل بين العربتين،
وفتحته، رأيت.....

fb/mashro3pdf